بسم الله الرحمن الرحيم

السنة ١٠
صدى
الزهراء

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى الزهراء عليها السلام
الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات.
التصميم : حسين عقيل - حسين شمران- ميثم القرعاوي .
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ١٠٠٠
شهر جمادى الأولى ١٤٣٧هـ.
حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة.

اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد

المحتويات

١١ عظمة الزّهراء عليها السلام

٢٥ ردُّ الشّبهات عن الزّهراء عليها السلام المشكاة

٣٥ بداية سقوط الأمم

٤٣ شعاع من أنوار الزَّهراء عليها السلام

٥٩ آفاق جديدة في تسبيح فاطمةالزهراء عليها السلام

٧١ منهج الزّهراء عليها السلام في التّربية

٧٩ ظلامات الزهراء عليها السلام من خلال زيارتها، والصلاة عليها

٨٧ القصيدة

في البدء

فاطمة .. بضعةٌ منِّي..

فاطمة.. بهجة قلبي..

فاطمة.. نور عينيّ..

فاطمة.. أمُّ أبيها..

هذه كلمات نورانية ذات معانٍ رفيعة تفوق السَّماء علوّاً وارتفاعاً.. قالها أعظم رجلٍ عرفته الإنسانية، بل أعظم مخلوقٍ خُلِق في الكون.. ذاك هو الرَّسول الأعظم محمد- صلى الله عليه وآله-..

فلو تأمَّل المتأمِّل في تلك الكلمات، وكان من ذوي الحظِّ السَّعيد، والقلم السَّديد لأمكنه أن يكتب عن كلِّ كلمة كتاباً ضخماً، وربما أكثر من كتاب؛ لأنَّها تختزن معاني كتاب الكون بأجمعه.

وهذا ليس غريباً ولا مستغرباً عند ذوي البصائر؛ لأنَّهم يعرفون أنَّ الكون كان بفضل تلك السَّيدة الجليلة-صلوات الله عليها-.. " فلولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما"..

وهذا الحديث القدسي الشَّريف يختزن أسرار تكوين الكون، والعلل والأسباب التي جعلته يظهر للوجود.

ففاطمة الزَّهراء عليها السلام ليست هي مجرد امرأة عاشت قليلاً ثم استشهدت في ريعان شبابها، ونضارة عودها، وقمَّة تألّقها..

لا.. بل هي الصّديقة الزّهراء.. التي لا يعرف من هي إلَّا الله -سبحانه-، ورسوله -صلى الله عليه وآله-، وأمير المؤمنين علي -صلوات الله عليه-، وأبناؤها المعصومون -عليهم السلام-.

هي من لو تعلَّمت الدُّنيا منها لسادها الأمن، والأمان..

هي مدرسة للأجيال، وحياتها القصيرة جدّاً من عمر الزَّمن، نبراس ومشعل نور يجب الاستضاءة به، والأخذ منه، وتعلّم الدُّروس الحياتية لتربية الأمم تربية صالحة..

هي بضعة من أبيها -صلى الله عليه وآله-، والرّسول هو أسوة من الله بالتَّحديد، والتَّخصيص حيث قال -عز وجل-: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)(سورة الأحزاب: ٢١)، وجزؤه لا ينفصل عنه، فهذا يعني أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي أيضاً أسوة حسنة لمن كان يرجو الله -تعالى-، واليوم الآخر كأبيها تماماً.

أنا أعطيناك الكوثر

عظمة الزّهراء عليها السلام

السيد محمد الموسوي

للسَّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام دور كبير في بناء، وتدعيم قواعد الدِّين الإسلامي، وتثبيت أركانه، إذ يقول -سبحانه وتعالى- في الحديث القدسي: «ولولا فاطمة لما خلقتكما».

فالزّهراء عليها السلام هبة إلهية، وعطية ربانية للرَّسول الأعظم-صلى الله عليه وآله-[1]، ومزيد نعمة، وهي سرُّ الإمامة، ومحور خلق الأئمة المعصومين-صلوات الله عليهم-..إذ أنَّها أنارت الحياة، وأقامت الدِّين الحق بأبنائها المعصومين -صلوات الله وسلامه عليهم-، وبمواقفها التَّاريخية..

وإلى يومنا هذا ترى الإسلام محفوظاً بفضل وجودها، ووجود آخر أئمة الهدى صاحب العصر والزّمان الإمام المهدي -عجَّل الله فرجه الشريف- وهو بركة من بركات الصِّديقة الطاهرة-عليها وعلى أبنائها أفضل الصلاة والسلام-..

وهناك أحاديث كثيرة متواترة توضح مقام الزّهراء عليها السلام وقد رواها الفريقان في مختلف كتبهم.

كما أنَّ تعظيم مقام الزّهراء عليها السلام تعظيم لمقام النّبوة، وتعظيم للقيم الدِّينية التي أنزلها الله -سبحانه-.

الزَّهراء عليها السلام نور الله

قال رسول الله-صلى الله عليه وآله-: «خلق الله نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض والسَّماء.

فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسيّة؟

فقال-صلى الله عليه وآله-: فاطمة حوراءُ إنسيّة.

قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسيّة؟

قال: خلقها الله -عز وجل- من نوره قبل أن يخلق آدم؛ إذ كانت الأرواح، فلمّا خلق الله -عز-وجل- آدم عُرضت عليه..

قيل: يا نبي الله، وأين كانت فاطمة؟

قال: كانت في حقّة تحت ساق العرش.

قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟

قال -صلى الله عليه وآله-: التَّسبيح، والتَّهليل، والتَّحميد، فلمَّا خلق الله -عز وجل- آدم وأخرجني من صلبه أحب الله -عز وجل- أن يخرجها من صلبي، جعلها تفّاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل -عليه السلام- فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا محمد!

قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.

فقال: يا محمد إنّ ربّك يُقرؤك السلام.

قلت: منه السلام، وإليه يعود السلام.

قال: يا محمد إنَّ هذه تفاحة أهداها الله -عز وجل- إليك من الجنَّة.

فأخذتها، وضممتها إلى صدري.

قال: يا محمد يقول الله جل جلاله كُلْها.

ففلقتها.. فرأيت نوراً ساطعاً ففزعت منه.

فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كُلْها، ولا تخف فإنَّ ذلك النُّور للمنصورة في السَّماء، وهي في الأرض فاطمة.

قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سُمِّيت في السَّماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟

قال: سُمِّيت في الأرض فاطمة؛ لأنَّها فطمت شيعتها من النَّار، وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السَّماء المنصورة، وذلك قول الله -عز وجل-: (ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)[٢] يعني نصر فاطمة لمحبِّيها»[٣].

وقد قال الشّاعر:

درة أشرقت بأبهى سنـاها

فتلألأ الورى فيها بشراها

لمع الكون من سنا نور قدس

بسنا ناره أضاء طـــواها

يا لها لمعة أضـــاءت فأبدت

لمعات أهدى الأنام هداها

سيدة نساء العالمين

كانت الزَّهراء عليها السلام في بداية تكوين المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة صغيرة السِّن ولما تكمل عامها الثَّامن، إلَّا أنَّها كانت عارفة، واعية بالعلم الرَّبّاني اللّدنّي وبالعصمة الإلهية التامة، بحيث أنَّها أدَّت دوراً مهمّاً في نشوء المجتمع الإسلامي الجديد، وامتازت بإخلاصها الشَّديد، وتفاعلها مع الأحداث، واستيعابها للرِّسالة السَّماوية..

وبالرَّغم من وجود نساء أخريات في بيت الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله-، لكنها نالت مرتبة سامية، وعالية عند الله -سبحانه وتعالى- وفي المجتمع الإسلامي، وذلك بفضل اصطفائها من عند الله وإخلاصها، وزهدها، وعبادتها، وإنفاقها، وجهادها، وصبرها، وتحمّلها في سبيل الله...

فأدَّت عليها السلام الدَّور الملقى على عاتقها بأحسن وجه، فاستحقّت أن تكون سيدة نساء العالمين من الأوَّلين، والآخرين.

وفي الحديث عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله-عليه السلام-: أخبرني عن قول رسول الله -صلى الله عليه وآله- في فاطمة أنَّها سيّدة نساء العالمين أهي سيدة نساء عالمها؟

فقال -صلى الله عليه وآله-: «ذاك مريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأوّلين، والآخرين»[٤].

فاستحقت الزّهراء -عليها السلام- أن يكون وجودها شرطاً لوجود الرَّسول الأعظم وأمير المؤمنين -عليهما الصلاة والسلام- كما جاء في الحديث القدسي، حيث كان لها -عليها السلام- الدّور المكمّل، والمتمم في بناء المجتمع الإسلامي، والحفاظ على بقاء الإسلام، وفي تحقيق الغاية من خلق الإنسان، وخلق الرَّسول الأعظم-صلى الله عليه وآله-؛ إذ لولا فاطمة لما خلق الأئمة-عليهم السلام- من ذرّيّة رسول الله -صلى الله عليه وآله- في هذا العالم، وعدم وجود الأئمة يعني إبطال الغرض من وجود النبي وإبطال وجود الإسلام معاً، وهذان أيضاً بدورهما يسبّبان إبطال وجود الإنسان أيضاً..

ولذا فإنَّه لولا فاطمة عليها السلام لما أصبح للنبوّة امتداد وديمومة، فهي عليها السلام سرّ الإمامة، مضافاً إلى ما سبق من كونها وقفت أمام المؤامرات التي حدثت بعد النبي-صلى الله عليه وآله-.

أُسوة وقدوة حسنة

إنَّ المتتبّع لسيرة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام يجد أنَّها مدرسة متكاملة في مختلف أبعاد الحياة .. فينبغي أن تكون قدوة لجميع النّساء، بل وحتَّى الرِّجال ..

فهي التي وقفت مع أبيها في تبليغ الدَّعوة الإسلامية، وتحمَّلت أذى مشركي قريش مع الثُّلّة القليلة من المؤمنين في شعب أبي طالب-عليه السلام-، وتحمَّلت صعوبة الهجرة من مكة إلى المدينة. ووقفت أيضاً بجانب أمير المؤمنين-عليه السلام- الذي أرسى دعائم الإسلام.. فكانت المجاهدة والمهاجرة.

وتحمَّلت أيضاً الآلام، وقساوة الظُّروف الصَّعبة جرّاء طلاقها للدنيا، واختيارها الآخرة، كما تزوّجت بأمير المؤمنين علي-عليهما السلام-؛ لتشارك في إسناد الرِّسالة

والإمامة معاً، وإرساء قواعد المجتمع الإسلامي، ونشر الدَّعوة الإلهية بجانب أبيها وبعلها الذي نذر نفسه لله -تعالى-. وهذا خير مثال يقتدين به النساء المسلمات.

الحياة الزّوجية

كما أنَّها عليها السلام تقاسمت مع الإمام علي -عليه السلام- أعمال الحياة الزوجية فكانت مسؤولية داخل البيت عليها وخارجه عليه..

فعن أبي جعفر -عليه السلام- قال: " إنَّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي -عليه السلام- عمل البيت والعجين والخبز...، وضمن لها علي -عليه السلام- ما كان خلف الباب: من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟

قالت: لا والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به.

قال: أفلا أخبرتني؟

قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمّك شيئاً. إن جاءك بشيء عفوا، وإلا فلا تسأليه.

قال: فخرج الإمام -عليه السلام- فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً ثُمَّ أقبل به وقد أمسى، فلقى المقداد بن الأسود.

فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟

قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين.

قال (الراوي): قلت لأبي جعفر -عليه السلام-: ورسول الله -صلى الله عليه وآله- حي؟

قال -عليه السلام-: ورسول الله -صلى الله عليه وآله- حيٌّ.

قال الإمام علي -عليه السلام- للمقداد: فهو أخرجني وقد استقرضت ديناراً وسأؤثرك به، فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله -صلى الله عليه وآله- جالساً وفاطمة عليها السلام تصلي وبينهما شيء مغطّى، فلما فرغت، احضرت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبز ولحم.

قال -صلى الله عليه وآله-: يا فاطمة، أنّى لك هذا؟

قالت: هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله-: ألا أحدثك بمثلك ومثلها؟

قال: بلى.

قال: مثلك مثل زكريا إذا دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً، قال: يا مريم أنّى لك هذا، قالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب[٥].

فأكلوا منها شهراً وهي الجفنة التي يأكل منها القائم وهي عندنا)[٦].

لمعة من إيثارها -عليها السلام-

من الصِّفات النَّقية الأخرى التي تحلَّت بها الزهراء عليها السلام، والتي يجب أن تكون درساً لأيِّ مجتمع وأمة تريد الانطلاق إلى الأمام، هي الزهد والكرم والإيثار والصبر ونحوها من مظاهر الخلق السامي الرفيع.

وقصّة الإطعام التي وردت في القرآن الحكيم في سورة الدّهر أفضل دليل على ذلك، حيث أنفقوا -عليهم السلام- طعامهم الوحيد المؤلّف من بضعة أرغفة لا غير، إلى ثلاثة محتاجين في ثلاثة أيام متوالية بقوا فيها طاوين جائعين في سبيل الله، وذلك بعد أن نذروا أن يصوموا لله إذا برأ الحسنان -عليهما السلام- من مرض ألمّ بهما، فلمّا جلسوا عند الإفطار ليتناولوا طعامهم، وإذا بالباب تقرع، وكان ثمّة مسكين وراء الباب، فقاموا جميعاً بإعطاء أرغفتهم للمسكين وباتوا جياعاً، وهكذا فعلوا في اليوم الثاني مع اليتيم، وفي اليوم الثالث تكرّرت الحادثة مع الأسير، فأنزل الله -تعالى- سورة كاملة بحقّهم وهي سورة (الدّهر) ومنها هذه الآية: (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)[٧].

وهذه القصة روتها العامّة أيضاً[٨].

عبادتها -عليها السلام-

وكانت السيدة فاطمة الزّهراء -عليها السلام- هي العابدة لله -تعالى- بإخلاص وإيمان عالٍ؛ إذ كان قلبها ينبوعاً متفجّراً بمعرفة الله والارتباط به -سبحانه وتعالى-.

قال الإمام الحسن -عليه السلام-: «رأيت أمّي فاطمة -عليها السلام- قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصّبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدّعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء..

فقلت لها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بني، الجار ثم الدّار»[٩].

من علوم الزَّهراء -عليها السلام-

ومن الصّفات الأُخرى التي تحلّت بها سيدة نساء العالمين -عليها السلام-، ويجب على المسلمين رجالاً ونساءً أن يقتدوا بها أكثر فأكثر هو العلم..

إذ كانت الزّهراء-عليها السلام- عالمة بما للكلمة من معنى، فإنّها كانت تتلقّى العلم من مدينة علم الرّسالة وهو النبي -صلى الله عليه وآله- ومن بابها وهو الإمام علي- عليه السلام-[١٠]..

فهي العارفة بالله وبحقائق الكون وفلسفة الحياة، كما أنّ قربها من المسجد النّبوي كان يتيح لها أن تتابع أحكام الله، وتلاوة آياته المباركة.. هذا إلى جوار ما كان لها من العلم اللّدنّي.

فمقاماتها السَّامية، وعلومها الزَّخّارة أهّلتها لأن تقوم بدور التَّربية، والتَّعليم، والتّوجيه لنساء العالم في كلِّ عصر ومصر، وخاصّة نساء عصرها اللّاتي كُنّ يجتمعن حولها ويتلقين منها علوم الإسلام، ويسألنها عن كلِّ شيء.

وقد كانت الزَّهراء -عليها السلام- المعلِّمة والمُربِّية حتَّى للرجال من خلال النساء، فعن الإمام الحسن العسكري قال -عليه السلام-: قال رجل لامرأته: اذهبي إلى فاطمة

-عليها السلام- بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله- فسليها عنّي: أنا من شيعتكم أو لست من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت-عليها السلام-: «قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عمّا زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا، وإلّا فلا».

فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذّنوب والخطايا، فأنا إذن خالد في النار، فإنَّ من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار!

فرجعت المرأة فقالت لفاطمة -عليها السلام- ما قال زوجها..

فقالت فاطمة-عليها السلام- قولي له: «ليس هكذا فإنّ شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكلّ محبّينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا، والمسلم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعدما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرّزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها، أو في الطبق الأعلى من جهنّم بعذابها، إلى أن نستنقذهم بحبّنا منها وننقلهم إلى حضرتنا»[11].

خطبتها في المسجد

ومن أهم ما بقي لنا من السّيِّدة فاطمة الزَّهراء-عليها السلام- خطبتها في المسجد التي اشتملت على علوم مختلفة ومعارف جمَّة..

والخطبة بحاجة إلى مجلّدات لتوضيحها[12]..

كما أنَّها-عليها السلام- رسمت عبر خطبتها، وسائر مواقفها النَّهج الصّحيح للأجيال القادمة إلى يوم القيامة.

الشَّهادة والألم

بعد استشهاد رسول الله -صلى الله عليه وآله- كانت -عليها السلام- تعيش مع زوجها الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- في أعلى مراتب الجهاد من أجل الحفاظ على الدِّين الإسلامي والدّعوة الإلهية التي أسّسها وأرسى دعائمها خاتم الرّسل وسيّد البشر رسول الرحمة -صلى الله عليه وآله-، بعد أن أصبحت مسؤوليتها أكبر وأخطر

بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله-..

فلم تنظر -عليها السلام- إلى الموقف كحدث عابر، بل إنَّها كانت تقف بوجه الاستبداد والديكتاتورية، وكانت تعتبر موقف القوم خطوة أو بداية للتراجع إلى الوراء، وتعدّه طمساً للحضارة الإسلامية المتنامية، فكان وقوفها هذا هو بداية الجهاد والاستشهاد، والذي استمرَّ حتى مع أبنائها وذرّيتها، فكان جهاد الإمام الحسين سيّد الشّهداء -عليه السلام- في كربلاء واستشهاده، امتداد للوقفة الفاطمية الخالدة بوجه الانحراف عن الإسلام.

وأثَّرت هذه المواقف البطولية على صحّتها كثيراً، حتى أُصيبت الزّهراء -عليها السلام- بجروح عديدة بعد مداهمة الأعداء لبيتها وما تبع ذلك من كسر ضلعها وإسقاط جنينها محسن الشّهيد-عليه السلام- .. فكان ذلك سبباً في استشهادها وهي في الثّامنة عشر من العمر. وقد جاء في الرّوايات:

«مرضت فاطمة الزّهراء -عليها السلام- مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفّيت -صلوات الله عليها-، فلمّا نعيت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف الإمام علي-عليه السلام- وأحضرته، فقالت: يا بن عمِّ إنّه قد نعيت إليَّ نفسي، وإنَّني لا أرى ما بي إلَّا أنَّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي...»[١٣].

وبعد أن سمع الإمام أمير المؤمنين -عليها السلام- وصاياها ومنها أن يتزوّج بـ (امامة) من بعدها، وأن يتَّخذ لها نعشاً، وأن لا يُشهِد جنازتها من ظلمها وسلب حقَّها، وأن تُدفن ليلاً وسرّاً... قال لها ـ كما في رواية ـ : «من أين لك يا بنت رسول الله هذا الخبر، والوحي قد انقطع عنّا؟

فقالت: يا أبا الحسن رقدت ساعة فرأيت حبيبي رسول الله -صلى الله عليه وآله- في قصر من الدّر الأبيض فلمّا رآني قال: هلمّي إليَّ يا بنية فإنِّي إليك مشتاق.

فقلت: والله إنِّي لأشدّ شوقاً منك إلى لقائك.

فقال: أنتِ الليلة عندي وهو الصّادق لما وعد والموفي لما عاهد»[١٤].

وقد توفّيت الزّهراء -عليها السلام- مظلومة شهيدة ليلة الأحد لثلاث خلون من شهر جمادى الثانية من العام الحادي عشر من الهجرة، ولها من العمر ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر، أي بعد وفاة والدها بثلاثة أشهر..

هكذا جاء في بعض الروايات .. وفي بعضها الآخر: أنَّها -عليها السلام- استشهدت في ١٣ جمادى الأولى، وهناك روايات أخرى.

وبالرغم من أنّها -عليها السلام- فارقت الحياة في عمر قصير، ولكنَّها باقية إلى ما شاء الله مدرسة للأجيال، ومشعل نور يكشف عن الزَّيف والاستبداد، ويقارع الطّغاة الظّالمين، ويقف بوجه كل من يريد طمس معالم هذا الدّين الحنيف.

فالأمّة تستلهم الدّروس والعِبر من مواقفها -عليها السلام-، وبطولاتها كما تستلهم الدّروس والعِبر من مواقف أبنائها المعصومين-عليهم السلام- ببطولاتهم، وحملهم هموم الإسلام، حيث مثّلوه خير تمثيل.. وما تزال البشرية متطلّعة إلى ظهور صاحب العصر والزَّمان الإمام المهدي -عجل الله فرجه الشريف- لإنقاذها من براثن المتسلّطين والمستبدّين ولمحو الظّلم والعدوان، ولينشر العدل والإسلام في جميع أرجاء العالم، ويحقّق الغاية والهدف الذي خلق من أجله النبي-صلى الله عليه وآله- والإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- بنشر العدل، والأمن، والهدى في ربوع المعمورة.

وبما سبق يظهر بعض دلالة قول الله -عز وجل- في الحديث القدسي: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما)..

اللهم صلِّ على أَمَتك وابنة نبيك، وزوجة وصيّ نبيّك، صلاة تزلفها فوق زلفى عبادك المكرمين من أهل السماوات وأهل الأرضين»[١٥].

الهوامش:

١- إشارة إلى قوله تعالى (إنَّا أعطيناك الكوثر) سورة الكوثر: ١.

٢- سورة الرّوم/ الآية: ٤-٥.

٣- معاني الأخبار: ص ٣٩٦ و٣٩٧.

٤- معاني الأخبار: ص١٠٧.

٥- إشارة إلى قوله - تعالى- في سورة آل عمران/ الآية: ٣٧.

٦- تفسير العياشي: ج١/ ص١٧١-١٧٢.

٧- سورة الإنسان/ الآية: ٨.

٨- راجع فاطمة الزهراء عليها السلام في القرآن: ص٣١٣ نقلاً عن تفسير روح المعاني: ج٩٢/ ص١٥٧.

٩- علل الشرائع: ص١٨١.

١٠- إشارة إلى حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها». عيون أخبار الرضا -عليه السلام-: ص٢٣٣.

١١- تفسير الإمام الحسن العسكري -عليه السلام-: ص٣٠٨.

١٢- راجع من فقه الزّهراء: ج٢ و٣ و٤ في خطبة الزَّهراء -عليها السلام-.

١٣- بحار الأنوار: ج٤٣/ ص١٩١.

١٤- المصدر نفسه: ج٤٣/ ص١٧٩.

١٥- مفاتيح الجنان: زيارة الزّهراء عليها السلام.

يا زهراء

ردُّ الشّبهات عن الزّهراء عليها السلام المشكاة

سليم عادل الحسناوي

الشّبهة الأولى: لماذا هذا الاختلاف في تحديد يوم شهادة الزَّهراء عليها السلام؟

هنالك تساؤل طالما دار في أذهان كثير من الناس، لِمَ هذا الاختلاف في تحديد يوم شهادة الزَّهراء -صلوات الله عليها- حيث نشهد في كلِّ عام ما يصطلح عليه الفاطمية الأولى، والثانية، والثالثة؟.

منشأ الاختلاف

هذا الاختلاف راجع الى تعدّد الرِّوايات، وهذا التَّعدد معهود في كثير من الوقائع التَّاريخية.

ومنشأ هذا الاختلاف ليس تضارب أقوال الأئمة -صلوات الله عليهم-، وبمعنى آخر إنَّ اختلاف الرِّوايات ليس معناه أنَّ الأئمة -عليهم السلام- اختلفوا في تحديد هذه التَّواريخ.

وإنَّما الاختلاف يأتي من قبل الرّواة، ومن قبل اختلاف النُّسخ حيث أنَّه في تلك الأزمنة لم يكن يقع ضبط للتَّواريخ كما يقع اليوم لعدَّة أسباب:

أوَّلاً: إنَّ التَّواريخ كلَّها كانت في تلك الأزمنة من المسموعات، ولم تكن تدوّن أوّل بأوّل إلَّا نادراً.

ومن الطَّبيعي أن تتعرّض مع مرور الأيَّام إلى النسيان، وبالتَّالي يقع الاختلاف.

ثانياً: حركة التَّدوين أساساً بدأت متأخّرة في التَّاريخ الإسلامي، وشهادة الزّهراء -صلوات الله عليها- وقعت في الصَّدر الأوَّل من تاريخنا الإسلامي، وتأخّر حركة التَّدوين أسهمت في وقوع هذا الاختلاف، والتَّضارب من جهة أخرى.

وفي نفس الوقت كان ما يُدوّن على صحف قديمة، وعلى وسائل قديمة، وبوسائل قديمة، فالمداد الذي كان يكتبون به آنذاك كان يتعرّض للزوال من أدنى شيء يصيبه، فقليل من الماء، أو تعرّضه لأشعة الشَّمس يتسبّب في زوال الكتابة، أو عدم وضوحها في الصّحيفة، بل ويمكن أن تبلى.

لقد كانت الوسائل بدائية لذلك حينما كانوا يعثرون مثلاً على صحيفة مكتوب عليها رواية معيّنة، أو أثر معيّن، أو تاريخ معيَّن... كثيراً ما يتحرّون في إكمال الفراغات في تلك الصّحيفة، إضافة لذلك لم يكن هناك تنقيط سابقاً...

ومع بدء حركة التَّدوين كان التَّنقيط قليلاً، والأحرف قد تتشابه، ومن هنا يقع أيضاً اختلاف في تفسير أو قراءة الكلمة الواحدة فضلاً عن الجملة أو العبارة الواحدة.

ناهيك عن ذلك كله أنَّ الأئمة -صلوات الله عليهم-، وشيعتهم كانوا يعيشون في أجواء من الاضطهاد والظلم الذي كان يحول دون توارد المعلومات، دون انسيابية المعلومات.

وهذه القيود كانت تسهم في ضياع كثير من الرِّوايات...

ومع مرور الزّمان، وتغير الأجواء، ومع التَّعتيم الذي فرضته السلطات، ومع حالة الخوف كان ينسى بعضهم، أو يشتبه فتنتقل المعلومة بشكلٍ خاطئ إلى الآخرين، ولعلَّها أصلاً لا تنتقل، وبالتَّالي يقع فراغ كبير، وهائل في ضبط المعلومات...

ولذلك نجد الرّوايات عن أئمتنا -عليهم السلام- في خصوص شهادة الزّهراء عليها السلام وقع فيها هذا الاختلاف لهذه العوامل التي سقناها.

إضافة إلى هذا هنالك أقوال لغير الأئمة -عليهم السلام- للمؤرّخين، وأصحاب السِّير تباين وتختلف عن أقوالهم -عليهم السلام-.

لهذا لدينا أقوال كثيرة في تحديد شهادة الزّهراء عليها السلام...

وعلى كلِّ حال من الجيّد للمؤمنين جميعاً أن يحيوا شهادة الزَّهراء عليها السلام في كلِّ يوم محتمل أن تكون قد وقعت هذه الفاجعة فيه، وهذه من علامات شِدَّة الإيمان، وقوَّة الارتباط بالزَّهراء -صلوات الله عليها-.

سيرة المحبين والموالين لأهل البيت -عليهم السلام- أنَّهم يحيون هذه المناسبة في كلِّ يوم محتمل أن تكون قد وقعت فيه، وهذا أمر حسن؛ لأنَّ حقَّ الزَّهراء -صلوات الله

عليها- عظيم جدّاً لا يمكن لأحد أن يقدِّره، وبالتّالي لعلّنا حينما نكثر مناسبات إحياء ذكرها لعلّنا نؤدِّي شيئاً قليلاً، ويسيراً من حقِّها علينا -صلوات الله عليها-.

الشّبهة الثّانية:

من بين تلك الشّبهات محاولة البعض تصوير ظلامة الزّهراء -صلوات الله عليها- على أنّها قائمة على بضع روايات ضعيفة لم تثبت فيقولون: إنّ ظلامتها وعلى الأخص مفردات تلك الظّلامة، وتفاصيلها كالهجوم على الدّار، حرق الباب، الضربة، كسر الضّلع، واسقاط الجنين هذه المفردات إنّما هي قائمة على بعض الرِّوايات الضّعيفة التي لم تثبت.

وهكذا يتحدَّثون بهذا المنطق، ويسممون أفكار الناشئة، ويستغلّون حالة الجهل المتفشية؛ لكي يوهموا النّاس بما يقولون.

إنَّ ظلامة الزّهراء -صلوات الله عليها- ثابتة مستفيضة متواترة لا يهرب منها إلّا الكذّاب المعاند، وبعبارة أوكد إنَّ ظلامة الزّهراء عليها السلام بتفاصيلها لا فقط أصل الظلامة في قضيّة الهجوم على الدّار، وإنّما تفاصيل ما جرى في تلك الحملة الوحشية هذه بمجموعها فيها عشرات الرِّوايات، والآثار، والأخبار بما يجعلها تبلغ حدَّ الاستفاضة بل حدّ التّواتر، وهنا أنقل قولين لأثنين من أعاظم علمائنا؛ الأوّل من المتقدّمين، والثّاني من المتأخّرين، وهما عملاقان في فنون الحديث، أمّا الأوّل فهو شيخ الطّائفة الطّوسي -رضوان الله تعالى عليه-، شيخ الطّائفة على الإطلاق الذي نصَّ على أنَّ ظلامة الزّهراء -صلوات الله عليها-، وتفاصيلها بالغة حدَّ الاستفاضة، بل نصَّ على إنّ الشيعة لا يختلفون في ذلك مطلقاً.

أمّا الشخصية الثّانية فهو العلّامة المجلسي -رضوان الله تعالى عليه- شيخ مشايخ المحدثين، صاحب بحار الأنوار، الذي نصَّ على أنَّ ما جرى على الزّهراء عليها السلام مستفيض بل متواتر عندنا نحن أتباع أهل البيت -عليهم السلام-، وعند أعدائنا على

السَّواء فلنقرأ هذين التَّصريحين، قال شيخ الطائفة في كتابه (تلخيص الشَّافي): والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة: أنَّ عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمي السقط " محسنا "(١)، والرواية بذلك مشهورة عندهم . وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته. وليس لأحد أن ينكر الرّواية بذلك، لأنَّا قد بيَّنَّا الرواية الواردة من جهة العامة، من طريق البلاذري وغيره. ورواية الشّيعة مستفيضة به، لا يختلفون في ذلك ".

هذه شهادة الخبير الذي يقول: في هذا العصر ليس فينا نحن شيعة أهل البيت -عليهم السلام- أحد يختلف حول ما جرى على الزَّهراء عليها السلام من ضرب، وقتل، وإحراق للبيت، وأنَّها أسقطت محسناً -عليه السلام-؛ لأنّ الرّوايات في ذلك مستفيضة لا يسعنا تكذيبها.

إذاً الشيعة قبل ألف عام كان لا يوجد لديهم خلاف في ذلك كما ينصّ شيخ الطَّائفة الطُّوسي، من يكون من ينكر ظلامة الزّهراء-صلوات الله عليها-؟.

وللعلَّامة المجلسي كلام في ذلك حيث يقول في كتابه بحار الأنوار :" وقد استفاض في رواياتنا، بل في رواياتهم أيضاً أنّه روّع فاطمة -سلام الله عليها- حتّى ألقت ما في بطنها. وقد سبق في الرّوايات المتواترة، وسيأتي أنّ إيذاءها -صلوات الله عليها- إيذاء للرسول -صلّى الله عليه وآله-. وإيذاء للوصي -عليه السلام- وقد تواتر في روايات الفريقين قول النبيّ -صلّى الله عليه وآله-: " "من آذى عليّاً فقد آذاني". وقال الله -تعالى-: (إنّ الذينَ يُؤذُونَ اللهَ ورسُولهُ لَعنهُمُ اللهُ في الدنيا وَالآخرة وأعدّ لهُم عَذاباً مُهيناً)..."(٢).

وإليك بعض الشّواهد الأخرى على ظلامة الزّهراء -عليها السلام-:

١. تاريخ مؤتمر بغداد.

ولّما جاءت فاطمة عليها السلام خلف الباب لتردّ عمر وحزبه، عَصَر عمر فاطمة عليها السلام بين الحائط والباب عصرة شديدة، قاسية، حتّى أسقطت جنينها...(٣).

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي.

ذكر عند نقله خبر هبّار بن الأسود: إنّ رسول الله -صلّى الله عليه وآله- أباح دمه يوم فتح مكّة؛ لأنّه روّع زينب بنت رسول الله -صلّى الله عليه وآله- بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً، فرأت دماً وطرحت ذا بطنها. قال: قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر، فقال: إذا كان رسول لله -صلّى الله عليه وآله- أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب، فألقت ذا بطنها، فظاهر الحال أنّه لو كان حيّاً لاباح دم من روّع فاطمة حتّى ألقت ذا بطنها...(٤).

٣. ميزان الاعتدال للذهبي.

قال ـ عند ترجمته لأحمد بن محمّد السري بن يحيى بن أبي دارم المحدّث، أبي بكر الكوفي: قال محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي، الحافظ -بعد أن أرّخ موته-: كان مستقيم الأمر عامّة دهره...حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن... (٥).

٤. المعارف لابن قتيبة.

إنّ محسناً فسد من زخم(زخمه يزخمه زخماً: دفعه دفعاً شديداً). (٦) قنفذ العدويّ...(٧).

٥. الملل والنحل للشهرستاني.

عن إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام، أنّه قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها...(٨).

فإذا كانت ظلامة الزهراء -عليها السلام- ثابتة ما هو السبب الذي يجعل مرضى القلوب يناقشون في ظلامة الزهراء عليها السلام، ويشككون في ظلامتها، ويثيرون الشُّبهات حولها؟ ويحاولون إسقاط الظّلامة في حين لا يفعل الشيء نفسه مع ظلامة النبي -صلى الله عليه وآله- مع أنَّه ما وصلنا من ظلامة الزّهراء عليها السلام أكثر، وأقوى ممّا وصلنا عن ظلامة النَّبي -صلى الله عليه وآله- حتَّى في مصادر الفريق الآخر، وليس فقط في مصادرنا؟

السبب هو أنَّ الظّالمين للنبي -صلى الله عليه وآله-، ما عاد لهم جمهور اليوم، وبعبارة

أخرى مشركو قريش الذين كانوا في تلك الأزمنة ليس لهم اليوم جمهور يحامي عنهم، ويعتبرهم رموزاً له بحيث أنَّه لا يقبل أي تقارب بينك وبينه إلَّا أن تترضى على هذه الرموز، وتعترف بها، وتبجّلها.

أمَّا قتلة الزهراء عليها السلام التي جاءت وهجمت على الزّهراء البتول -روحي فداها- لهم أتباع، وجمهور لذلك يخشى هؤلاء المنتحلون للتشيّع من إدانة أولئك بصراحة، فلذا يحاولون إسقاط هذه الرّوايات التي وصلتنا.

الشّبهة الثّالثة:

هل بالفعل لا يوجد عندنا سند صحيح لما جرى على الزّهراء عليها السلام ؟

الجواب كلّا، هذا افتراء باطل، إنَّ عندنا أكثر من رواية صحيحة السَّند تثبت ظلامة الزّهراء عليها السلام على الإجمال، وتثبتها على التَّفصيل، ولكن قبل أن أعرض أنموذجين للرِّوايات الصَّحيحة في هذا الشَّأن أود التنبيه إلى قضية مهمّة ألا وهي: ما أهمّيّة البحث عن رواية صحيحة في ظلامة الزّهراء عليها السلام مع علمنا بأنَّ الرّوايات التي تتحدث عن ظلامتها بلغت حدَّ الاستفاضة بل التَّواتراً لا بد أنّ من يبحث عن رواية او حديث صحيح السّند في ظلامة الزّهراء دون أن يلتفت أنّ الرّوايات في ذلك مستفيضة او متواترة هذا الرّجل لا يفقه شيئاً في علم الحديث، او علم الرّواية، أو علم الدّراية؛ لأنَّنا حسب علم الدّراية نستغني عن الرّوايات الصحيحة مادام عندنا روايات مستفيضة في معنى واحد.

ومعنى الاستفاضة وصول الحديث بأكثر من طريق، فلذا نطمئن إلى وقوعها؛ لأنَّه لا يمكن أن يتواطأ كلُّ هؤلاء على الكذب يقول الشَّهيد الأوَّل -رضوان الله تعالى عليه- في كتابه القواعد والفوائد:" إذا كان للحديث الواحد طرق متعدّدة، وأسانيد متنوّعة فسنّة أهل الحديث أنَّهم لا يهتمّون بتصحيح السَّند، والتَّعمق في حال رجاله، ويُلحقون مثل هذا بالمتوترات، أو المستفيض..."(٩).

بعد هذه المقدِّمة أنقل حديثين، صحيحي السند يثبت ظلامة الزّهراء-عليها السلام- على الاجمال على أنَّها ماتت مقتولة شهيدة، وهذا يكفينا أن نعتقد بصدق سائر الرِّوايات التي تتحدّث عن تفاصيل شهادتها؛ الحديث الأوَّل رواه الشيخ الكليني في الكافي الشَّريف، عن الإمام الكاظم -عليه السلام- قال:" إنَّ فاطمة صدِّيقة شهيدة وإنّ بنات الأنبياء لا يطمثن" **ما معنى شهيدة؟**

يعني مقتولة، ماتت مقتولة شهيدة، هذا النّص الصحيح من الإمام الكاظم -عليه السلام- .

هذا الحديث يعطينا- معلومة أنّ هنالك جريمة قتل.

وممّن نص على أنَّ هذه الرّواية صحيحة، وعلَّق عليها العلامة المجلسي -رضوان الله تعالى عليه- في كتابه الشريف (مرآة العقول)، إذ يقول:

وقد علَّق على هذا الخبر العلامة المجلسي -رضوان الله تعالى عليه- قائلاً: - ثم إنَّ هذا الخبر يدل على أنَّ فاطمة -صلوات الله عليها- كانت شهيدة، وهو من المتواترات. وكان سبب ذلك أنَّهم لما غصبوا الخلافة وبايعهم أكثر الناس، بعثوا إلى أمير المؤمنين -عليه السلام- ليحضر البيعة، فأبى. فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدّخول عليه قهراً فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنفذ - غلام عمر - الباب على بطن فاطمة عليها السلام، فكسر جنبها، وأسقطت لذلك جنيناً كان سماه رسول الله -صلى الله عليه وآله- (محسناً)، فمرضت لذلك، وتوفّيت -صلوات الله عليها- في ذلك المرض"(١٠).

وبعد أن عرضنا حديث الكليني، وهو يثبت أنَّ الزَّهراء عليها السلام قد قُتلت ودون تفصيل -أي أنَّه حديث يثبت الظلامة على الإجمال- ننتقل الآن لبيان حديث شريف آخر يثبت أنَّها قُتلت وظلمت على التّفصيل.

الحديث الصحيح الثَّاني في استشهاد سيّدة نساء العالمين عليها السلام

هذا الحديث الشَّريف رواه الطبري الإمامي في كتابه المعروف (دلائل الإمامة)، في الصَّحيفة الخامسة والأربعين بسند صحيح عن أبي بصير عن أبي عبدالله الصّادق -عليه السلام-:" ولدت فاطمة عليها السلام في جمادى الآخرة، يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي -صلى الله عليه وآله-. وأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً . وقبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة . وكان سبب وفاتها أنَّ قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها..." .

وحتَّى يثبت هذا الموقف، وتتناقله الأجيال أنَّ الزَّهراء عليها السلام أقسمت أنَّها غاضبة على القوم الذين ظلموها.

الهوامش:

١- تلخيص الشَّافي: المجلَّد الثَّالث/ ص١٥٦.

٢- بحار الأنوار: المجلد ٢٨/ ص٤٠٨.

٣- تاريخ مؤتمر بغداد: ص٦٣.

٤- شرح نهج البلاغة: ج١٤/ ص١٩٣.

٥- ميزان الاعتدال: ج ١ / ص ١٣٩ رقم٥٥٢.

٦- أُنظر لسان العرب: ٦ج / ص ٣٢.

٧- مناقب آل أبي طالب: ج ٣ / ص ٣٥٨.

٨- الملل والنحل:ج ١ / ص ٥٧.

٩- القواعد والفوائد: المجلَّد الأول/ ص٢٢٢.

١٠- مرآة العقول: المجلد الخامس/ ص ٣١٨.

grieves me.

بداية سقوط الأمم

محمد يوسف

قالت مولاتنا الزَّهراء عليها السلام **"ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط، والقبض"** (١).

إنَّ من رذائل الأخلاق الخلود إلى الخفض، والدَّعة، والرَّاحة، وسعة العيش، فإنَّه نقطة البداية في سقوط الأمم؛ لأنَّ الإسلام يحب الجدَّ، والنَّشاط، والجهد كما نجد ذلك في سيرة رسول الله- صلى الله عليه وآله- وخليفته الإمام علي-عليه السلام- وسائر الأئمة المعصومين -عليهم السلام-.

إنَّ الإخلاد هو الميل والسكون، والخفض السّعة في العيش، وأصل الخفض عبارة عن الموضع الواطئ الذي لا يرى عن بُعد فيكون الإنسان الذي فيه في مأمن من الأخطار، فهو من علاقة الحالّ والمحلّ، ثمَّ إنَّ الذي يخلد إلى الخفض كثيراً ما يؤدّي به ذلك إلى المحرمات طلباً للخفض، وكسلاً عن الإتيان بالواجب.

لقد أشارت الصِّدّيقة الطَّاهرة فاطمة الزّهراء -عليها السلام- إلى الآثار السّلبيّة، والخطيرة التي نجمت عن إخلاد القوم إلى الرَّاحة على حساب تضييع الواجبات، وإبعادهم من هو الأحق بالقيادة والخلافة، كما أنَّها -عليها السلام- تشير في هذا المقطع إلى أنَّ موقفهم من الخلافة وغصبها، وغصب فدك لم يكن نابعاً من قناعة، أو عدم معرفة بالحقيقة، أو عدم علمهم بمن هو أحقّ بالخلافة، بل كان نابعاً من ضعف النَّفس، وحبِّ الشهوات، والرَّغبة في الرَّاحة والدَّعة، إذ قالت الزّهراء -عليها السلام- (قد أخلدتم إلى الخفض)، فبتركهم الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- قد أخلدوا إلى الضّعة، والخنوع، ولا يخفى ما في استعمال مادّة الخلود هنا من دلالات.

أمَّا قول أمير المؤمنين -عليه السلام-: " من توكَّل على الله ذلَّت له الصِّعاب، وتسهلت عليه الأسباب، وتبوأ الخفض، والكرامة"(٢) فهو إشارة إلى الخفض، والرَّاحة الحقيقية كما لا يخفى، ولما سوى رسول الله - صلى الله عليه وآله- الصُّفوف بأُحُد قام فخطب الناس فقال "أيّها النَّاس أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه، من العمل بطاعته،

والتَّناهي عن محارمه، ثم إنَّكم اليوم بمنزل أجر، وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطَّن نفسه على الصَّبر، واليقين، والجدَّ، والنَّشاط، فإنَّ جهاد العدو شديد كريه، قليل من يصبر عليه إلَّا من عزم لـه على رشده، إنَّ الله مع من أطاعــه، وإنَّ الشَّيــطان مع من عصاه، استفتحوا أعمالكم بالصَّبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فإنّي حريص على رشدكم، إنَّ الاختلاف، والتَّنازع، والتَّثبط من أمر العجز والضَّعف، وهو ممّا لا يحبه الله، ولا يعطي عليه النَّصر والظَّفر"(٣).

إنَّ من الواجب إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، ووضع الشَّخص المناسب في المكان المناسب، وتفويض الأدوار لذوي الكفاءات، وبذلك تستقيم أمور الدِّين والدُّنيا معاً، وفي الأحاديث أنّ مِن علائم زوال الحكومات هو تقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل، حيث قال الإمام علي -عليه السلام- "يستدل على إدبار الدُّول بأربع: تضييع الأصول، والتَّمسك بالغرور، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل"(٤)، وقال -عليه السلام- "تولي الأراذل، والأحداث الدولَ دليل انحلالها وإدبارها" (٥)، وقال -عليه السلام- "إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل"(٦)، مضافاً إلى ما ورد في ذمِّ من تولى الأمر وفي القوم من هو أعلم منه، قال أبو عبد الله الحسين -عليه السلام- "من خرج يدعو النَّاس، وفيهم من هو أفضل منه فهو ضال مبتدع"(٧).

لقد كان السَّبب الأوَّل في كافَّة المحن، والمشاكل، والرَّزايا التي تعرَّض لـها المسلمون من حكَّام جائرين مستبدّين، ومن هتك الحرمات، ومصادرة الحقوق، وضعف الإيمان، وعلى مرِّ التَّاريخ هو عدم إعطاء المناصب، والمسؤوليات لذوي الكفاءات، بدءًا من رئيس الحكومة حتى أصغر مدير، وكان أفدح تلك الخطايا على الإطلاق سلب السُّلطة من الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- الذي كان هو الأكفأ في كلِّ الجهات بشهادة الرَّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- بمتواتر الرّوايات، مضافاً إلى كونه -عليه السلام- هو الخليفة المعيَّن من قبل الله -عز وجل-.

وقد ورد في الزِّيارة: " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ، الَّذِي انْتَجَبْتَهُ لِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُ هَادِياً لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَالدَّلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالاَتِكَ، وَدَيَّانَ الدِّينِ بِعَدْلِكَ، وَفَصْلِ قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ"(٨).

وفي حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله – صلى الله عليه وآله– قال "... أتاني جبرئيل فقال: إنَّ ربَّك يقول لك: إنَّ علي بن أبي طالب وصيُّك، وخليفتك على أهلك وأمّتك، والذَّائد عن حوضك، وهو صاحب لوائك يقدمك إلى الجنة"(٩).

إنَّ إقصاء الكفاءات ظلم محرَّم، ويحرم إبعاد من هو الأحق بالبسط، والقبض مطلقاً، فإنَّ الحقَّ يجب أن يتبع سواء كان الحقُّ شخصاً، أم جهة، أم فكراً، أم منهجاً، والإمام علي –عليه الصلاة والسلام– كان هو الحق الذي يجب إتباعه بنص القرآن الكريم والرَّسول – صلى الله عليه وآله– حيث قال –تعالى–: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(١٠).

وقال النَّبي الأكرم –صلى الله عليه وآله– "علي مع الحقِّ، والحقُّ مع علي، يدور حيثما دار"(١١).

وقال رسول الله–صلى الله عليه وآله–: "إنَّ الله يبغض من عباده المائلين عن الحقِّ، والحقُّ مع علي، وعلي مع الحقِّ، فمن استبدل بعلي غيره هلك، وفاتته الدُّنيا والآخرة"(١٢).

ثمَّ إنَّ إبعاد من هو الأحق بالبسط والقبض، ظلم من ثلاث جهات، وأكثر وهي: ظلم للمغصوب حقه، وظلم للنَّاس والجماهير التي حرمت خيراته، وظلم للمنهج والفكر والرسالة، مضافاً إلى أنّه ظلم لرسول الله – صلى الله عليه وآله– الذي عيَّنه بالنَّص، وظلم في حقِّ المولى –عزّ وجل– الذي عيَّنه وصيّاً، وإنَّ من أكبر الكبائر إبعاد الإمام علي بن أبي طالب –عليه السلام– عن منصب خلافة رسول الله – صلى الله عليه وآله– وقد قال –تعالى–: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)(١٣).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: "من أطاع علياً رشد، ومن عصى علياً فسد"(١٤)، وعن أمّ سلمة قالت: " كان علي -عليه السلام- على الحقِّ، من اتبعه اتبع الحقَّ، ومن تركه ترك الحقَّ، عهداً معهوداً قبل يومه هذا)(١٥)، وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول "علي مع الحقِّ، والحق مع علي، وهو الإمام والخليفة من بعدي، فمن تمسَّك به فاز، ونجا، ومن تخلَّف عنه ضلَّ، وغوى"(١٦).

وقول الزَّهراء عليها السلام (أحق) يراد به الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- وصيغة التَّفضيل وصف بلا تفضيل، كقوله -تعالى-: (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)(١٧)، أو التفضيل على سبيل الفرض حسب نظر القوم أو ما أشبه.

فيجب بيان حقائق حرمة غصب الخلافة من الإمام علي كونه -عليه السلام- هو الخليفة لرسول الله -صلى الله عليه وآله- دون غيره، للناس كسائر ما يرتبط بشؤون العقيدة، بل هـذا من أهمّها كما لا يخفى، ولذا بيّنت الزَّهراء -عليها الصلاة والسلام- هذا الموضوع للناس، بل تصدَّت -صلوات الله عليها- لبيان ذلك بكلِّ قوة حتى قضت شهيدة، مكسورة الضلع، مضروبة الخد، مسقطة جنينها - صلوات الله عليهما- ولعنة الله على من ظلمها وظلم بعلها وبنيها.

الهوامش:

١- بحار الأنوار/ ج٢٩/ ص٢٢٩.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٧.

٣- بحار الأنوار: ج٢٠/ ص١٢٥- ١٢٦.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٢.

٥- المصدر نفسه: ص٣٤٥.

٦- المصدر نفسه: ص٣٤٨.

٧- مستدرك الوسائل: ج١١/ ص٢٩.

٨- تهذيب الأحكام: ج٦/ ص٨٧.

٩- مستدرك الوسائل: ج١٨/ ص١٨١.

١٠- سورة المائدة: ٥٥.

١١- إعلام الورى: ص١٥٩.

١٢- بحار الأنوار: ج٣٨/ ص٣٦.

١٣- سورة النساء: ٦٥.

١٤- الاحتجاج: ج١/ ص٨٨.

١٥- كشف الغمة: ج١/ ص١٤٣.

١٦- كفاية الأثر: ص٢٠-٢١.

١٧- سورة الفرقان: ١٥.

فاطمة

فاطمة

شعاع من أنوار الزَّهراء عليها السلام

السيد مرتضى الحسيني

قال الإمام أبو الحسن الثالث-عليه السلام-: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **(إنَّما سُمّيت ابنتي "فاطمة"؛ لأنَّ الله -عز وجل-، فطمها، وفطم من أحبَّها من النَّار(١).**

وهناك روايات أخرى كثيرة تؤكد هذا الحديث الشَّريف وتعضده.

والتَّساؤل الكبير ألآن هو: هل يعقل أن يكون الأمر كذلك؟.

أيمكن أن تفطم فاطمة عليها السلام كافَّة محبّيها من دخول النَّار؟.

وهل يجوز للمحب لآل الرسول -عليهم السلام- أن يرتكب المعاصي اعتماداً على المحبة، متعللاً بتلك الروايات الشَّريفة؟

هذه الأسئلة هي التي سنحاول في هذا البحث الموجز أن نُقدّم لها بعض الإجابات السّريعة، والله الموفّق وهو المستعان.

روايات في محبّة أهل البيت-عليهم السلام-

في البدء لابُد أن نقوم باستعراض سريع وعابر، لبعض الرّوايات الشّريفة التي تشير إلى محورية محبّة آل الرّسول ومودّتهم-صلوات الله عليهم-، وموضوعيتها وتؤكّد أنَّها هي المدار وبها الاعتبار.

قال الرّسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-: "ما من عبد، ولا أمة تموت وفي قلبه مثقال حبَّة خردل من حبِّ علي ابن أبي طالب إلَّا أدخله الله الجنَّة).(٢)

وقال -صلى الله عليه وآله-: " لو اجتمع الناس على حبِّ علي ابن أبي طالب لما خلق الله -عز وجل- النَّار".(٣)

تلامذة في مدرسة أهل البيت -عليهم السلام-

في البداية لابد أن نشير إلى أنَّنا يجب أن نكون تلامذة صغاراً في مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- وأن نعتبر كلماتهم هي القول الفصل، وهي الحكم وهي المرجع.

فالاجتهاد في مقابل النّص ـ كتاباً وسنّة ـ لا يكشف إلَّا عن جهل أو تجاهل بـ (العلم

الشّمولي المحيط) لهم -عليهم السلام- الذي تنطلق منه النّصوص كاشفة عن الحقائق كما هي، وهو إلى جوار حرمته شرعاً والرّدع عنه عقلاً يعد ذلك المدخل الكبير الذي ضلَّ بسببه الكثير، من فحول الفلاسفة والعلماء، بل وغيرهم، عندما بعقلهم وحكمتهم، حكموا عقولهم وجعلوها المقياس، فأولوا على ضوئها النصوص أو طرحوها رأساً لعدم انسجامها مع قناعاتهم وآرائهم.

إنّ استغراب الحقائق، طبيعية كانت أم ميتافيزيقية، وعدم المقدرة على هضمها أو إدراك أبعادها، لا يصح أن يعد سبباً للرفض،.. وإذا كنّا نستنكر على جاهل بالفيزياء أو الذّرّة أو الفضاء اعتراضه على نظرية تبدو له في غاية الغرابة فإنَّ الاستنكار على من يعترض في القضايا الميتافيزيقية (ألماورائية) ويستنكر رغم صدورها لا من أفلاطون أو انشتاين، بل من حجج الله على كافّة الخلائق، أكبر وأشد، وتدل هذه الرواية على ذلك:

إنّ (المقياس) و(المرجع) في كلِّ التناقضات التي يقع فيها العقل البشري، هو (الوحي الإلهي) وتلك العقول الكاملة التي اعتبرها خالق الكون وسائطه إلى خلقه وعباده.

ما يحكم به العقل.

إنّ العقل هو المحكم في الإمكان والامتناع ولاشك في-الإمكان الذّاتي- لكون محبّة آل الرَّسول -صلى الله عليه وآله- سبباً للدخول في الجنّة، وبغضهم سبباً للدخول في النار ولاشك في إمكان أن يتفضّل الله -تعالى- على الزهراء فاطمة عليها السلام بأن تفطم محبِّيها وشيعتها من النّار، ولا شك في إمكان أن يغفر الله ذنوب كلِّ محب لعلي وفاطمة وابناهما -عليهم صلوات المصلّين-.

وقد دلَّت الرّوايات المتواترة ـ تواتراً معنويّاً أو تواتراً إجماليّاً ـ على تحقق كلِّ ذلك، مما هو مذكور في كتب الحديث والكلام والتّفسير.

ولإزالة الاستغراب وكإشارة عابرة إلى بعض الأدلة على محورية المحبة وموضوعيتها وتوضيحاً للصورة وكرسم مبدئي لأبعاد المعادلة نقول:

الاستغفار ومحو الذّنوب

١: لقد جعل الله -تعالى- (الاستغفار) سبباً لمحو الذّنوب كلّها، صغيرها وكبيرها، فـ (لحظة توبة) تغسل ذنوب عشرات السّنين، قال -تعالى-:(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجدِ الله غفوراً رحيماً).(٤)

أفيستغرب بعد ذلك أن تكون (محبّة آل البيت) -عليهم أفضل الصلاة والسلام- سبباً لمحو الذّنوب وغفران الخطايا؟

وقد دلّت الرّوايات على ذلك، منها: ما ورد عن الإمام الباقر-عليه السلام-: "بحبّنا يغفر لكم"(٥).

وعن الرضا -عليه السلام- عن آبائه -عليهم السلام- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (حبنا أهل البيت يكفر الذّنوب ويضاعف الحسنات، وأنَّ الله تعالى ليتحمل عن محبّينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد إلّا ما كان منهم فيها على إضرار وظلم للمؤمنين، فيقول: للسيئات كوني حسنات)(٦).

وعن أبي عبد الله -عليه السلام-: "إنَّ حبّنا أهل البيت ليحط الذّنوب عن العباد كما تحطّ الرِّيح الشَّديدة الورق عن الشَّجر"(٧).

الشّهادة وغفران الخطايا

٢: و(الشهادة) في سبيل الله أيضاً اعتبرت سبباً لغفران الذّنوب، كما قال الإمام الباقر -عليه السلام-: "أوَّل قطرة من دم الشّهيد كفّارة لذنوبه إلّا الدَّين فإنَّ كفّارته قضاؤه"(٨).

فهل يستغرب أن تكون محبّة، من خلق الله الكون لأجلهم وفي محبّتهم، سبباً لذلك؟

إضافة إلى أنَّ الرّوايات تعمّم مفهوم الشّهادة ومصداقها لقوله -صلى الله عليه وآله-: "من مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً).(٩)

فهو شهيد له ما له من الدّرجات والمنزلة، ولا يضر بذلك عدم إجراء أحكام الشّهيد من

حيث الغسل وما أشبه ذلك عليه.

الشّفاعة ومحو السّيّئات

٣: (والشّفاعة) هي الأخرى سبب.

وحكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، وهذه القاعدة تنطبق على (المحبة)(١٠) من جهة وعلى (الاستغفار) و(الشّهادة) و(الشّفاعة) من جهة أخرى، بل الأمر فيها أولى من بعض الجهات كما لا يخفى، بل إنَّ مآل الشّفاعة إلى المحبّة كما تدل عليه الرّوايات ومنها: (...انه إذا كان ذلك واحتضر، حضره رسول الله -صلى الله عليه وآله- وعلي وجبرئيل وملك الموت -عليهم السلام- فيدنو منه الإمام علي -عليه السلام- فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فأحبه، ويقول رسول الله -صلى الله عليه وآله-: " يا جبرئيل، إنَّ هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه، ويقول جبرئيل لملك الموت: إنّ هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وأرفق به، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك، أخذت أمان براءتك، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا...)(١١).

النّقاط الثّلاث

٤: هذه النقطة تنحل في حقيقة الأمر إلى ثلاث نقاط:

١: فضل الله -تعالى- بالنسبة لآل البيت -عليهم السلام-.

٢: مكانتهم وقدرهم ومنزلتهم -عليهم السلام- عنده -تعالى-.

٣: فضله -تعالى- على عامّة الناس.

و(فضل الله -تعالى-) بالنسبة لآل البيت ومكانتهم عند الله -تعالى-، يقتضي منح آل الرسول -صلى الله عليه وآله- تلك المكرمة وهذه المنقبة، أفيستكثر على الله -تعالى- أن يمنحهم ذلك وهم أفضل مخلوقاته، وهم (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)؟(١٢).

المشاكل وغفران الذنوب

٥: وإذا كانت الأمراض، والعوارض، والمشاكل، والمآسي سبباً لتطهير المؤمن وغفران ذنوبه ومحو سيّئاته فـ (حُمّى ليلة كفارة سنة)(١٣) وقد قال أبو عبدالله -عليه السلام-: "والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار، قلت: إنَّ فيهم من يفعل ويفعل، فقال: إنَّه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلَّا ضيّق الله عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلَّا شدد الله عليه عند موته حتى يأتي الله، ولا ذنب له ثم يدخله الجنّة"(١٤).

فكيف لا تكون محبّة خيرة أولياء الله ومحال معرفة الله ومعادن حكمة الله -عليهم أفضل الصلاة والسلام- كذلك؟

خاصة وإن تلك (١٥) تستبطن الجانب السّلبي وهذه (المحبّة) هي ذلك الجانب الإيجابي، وتلك هي البعد العرضي وهذه هي البعد الذاتي وتلك ترتبط بالجوارح وهذه بالجوانح.

العمل وغفران الذنوب

٦: وإذا كانت بعض الأعمال سبباً لغفران الذّنوب ورفع العقاب وتطهير النّفوس، فكيف لا يمكن أن تكون (المحبّة الخالصة لمن أمر الله بحبّهم) سبباً لكلّ ذلك ؟

خاصة إذا لاحظنا أنَّ العمل هو القالب، والمحبة هي القلب، والعمل هو الجسم، والمحبَّة هي الرّوح، والعمل هو المظهر، وتلك هي المخبر.

وبعبارة أخرى: العمل عمل الجوارح، والمحبّة عمل الجوانح، وربما الى ذلك يشير قوله -صلى الله عليه وآله-: "إنَّما الأعمال بالنّيّات، ولكل امرئٍ ما نوى".

فإذا كان مقياس قبول العمل وعدم قبوله (النّيّة) ـ لا ضخامة العمل وحجمه الكبير والأتعاب الهائلة ـ أفلا يمكن بعدها أن تكون المحبّة والبغض كذلك؟

وببيان آخر: المحبة من مصاديق العمل، بل هي من أفضل مصاديقه.

القول وغفران الذّنوب

٧: بل إذا كانت بعض(الأقوال) سبباً لغفران الذّنوب، وزيادة الحسنات، فكيف لا تكون (المحبّة)؟

عن الرسول -صلى الله عليه وآله-: " من قال عشر مرّات قبل أن تطلع الشّمس وقبل غروبها: لا إله إلّا الله وحده.. كانت كفّارة لذنبه في ذلك اليوم"(١٦).

بين المادّيّات والمعنويات

٨: وكما في عالم المادّيات كذلك في عالم المعنويات، فكما جعل الله -سبحانه وتعالى- بعض المواد (مطهرة) من النّجاسات والخبائث والمكروبات، (فالماء) مطهّر و(الشّمس) من المطهّرات و(الأرض) تطهر و...

وكذلك المضادّات الحيوية (الأنتي بيوتيك) مثلاً قتّالة الجراثيم والمكروبات.

كذلك، في المعنويات فـ (المعاصي) لها مطهّرات، منها: الاستغفار، ومنها: المحبة لآل البيت -عليهم السلام-، ومنها المصائب التي تلحق بالإنسان، ومنها غير ذلك.

فعنه -صلى الله عليه وآله-: " حب علي ابن أبي طالب يأكل السّيّئات كما تأكل النار الحطب"(١٧).

والرّواية التّالية تكشف أفقاً آخر أوسع وأكبر: قال -صلى الله عليه وآله-: " ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبة خردل من حبِّ علي ابن ابي طالب إلّا أدخله الله عزوجل الجنّة"(١٨).

التّلازم بين الحب والإيمان

٩: وهناك تلازم حقيقي بين حبّهم -عليهم السلام- وبين الإيمان، وبين بغضهم وبين النّفاق.

وهذا ما تكشف عنه الرّوايات، منها:

قوله -صلى الله عليه وآله-: "حبّ علي آية الإيمان"(١٩).

الجانب الطريقي لمحبّتهم -عليهم السلام-

١٠: ولمحبة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها -عليهم أفضل الصلاة والسلام- جانب طريقي أيضاً، فإنّ المُحب يندفع شعوريّاً أو لا شعوريّاً، وبإيحاءات من الوعي الباطن نحو التّأسّي بمن أحب، أو على حسب تعبير علماء النّفس "لتقمص" شخصية المحبوب، ولذلك كان حب الله وحب أولياء الله من أقوى العوامل الدّافعة لتهذيب النّفس وتطهير الرّوح وتنامي الملكات الحميدة ومكارم الأخلاق. وكلّما ازداد الإنسان حُبّاً ازداد اتباعاً وولاءً وعطاءً، وكلّما ترسّخ الحب في أعماق كيانه وتجذّر أكثر فأكثر تأقلمت حياته وتحدّدت مسيرته على ضوء إشعاعات ذلك الحب، أكثر فأكثر، وقد قال الإمام الصادق -عليه السلام-: "وهل الدِّين إلّا الحب"(٢٠).

وذلك من أسباب التّركيز الكبير في الرّوايات على محبّة المعصومين -عليهم صلوات المصلّين-.

وإذا كانت النّفس والدّنيا والشّياطين والهوى تدفع الإنسان نحو اقتراف الآثام واجتراح السّيّئات، فإنَّ (المحبَّة) تعد سلاحاً يواجه به قوى الشَّر وعوامل الضّلال.

فكما (العقل) فكذلك (المحبَّة).

وكما قد يعجز (العقل) عن مواجهة جيوش الضّلال والإضلال، كذلك قد تقصر (المحبّة) عن الرّدع عن المعاصي والطّغيان.

وكما لا يفقد ذلك العجز قيمة (العقل)، كذلك لا يفقد ذلك القصور قيمة (المحبّة).

بل كما أنَّ شدَّة ضراوة قوى الضّلال تدعونا لإذكاء العقل وتقويته وتعرّفنا على قيمته أكثر فأكثر، كذلك تنامي جيوش الضّلال تدعونا إلى إذكاء (المحبّة) وإلهابها، والى السَّعي لتنميتها ودفع الناس باتجاهها أكثر فأكثر.

وقد أكّدت على ذلك الرّوايات الشَّريفة وفي منظار أشمل.. تتكامل أمام ناظرينا خطوط المواجهة وعناصر قوى الخير في مقابل مفردات قوى الشّر، ففي معسكر الضّلال

تحتشد: الشّياطين، وشهوات النّفس، ومغريات الدّنيا، لتواجهها في معسكر الإيمان: الحجة الظّاهرة: الرّسل، والحجة الباطنة: العقل، و(المحبَّة) تلك الشّحنة الرّوحانية الإلهية السّامية(٢١) التي نسبها الله -تعالى- إلى نفسه حيث قال -سبحانه-: (وألقيت عليك محبَّة منّي)(٢٢) كما قال تعالى: (قل الرّوح من أمر ربّي).(٢٣):

الموضوعية في محبَّة آل بيت الرسول-صلوات الله عليهم-

إنَّ الذي يستفاد من الآيات والرّوايات أنَّ محبّة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها -صلوات الله عليهم أجمعين- لها الموضوعية، إضافة إلى مالها من الطريقية، فهي في حدّ ذاتها محمودة وممدوحة ومطلوبة، وهي في حدّ ذاتها مقياس، وهي في حدّ ذاتها عبادة.

فهي كـ(الصّلاة) فكما أنّ الصلاة (عبادة في حدّ ذاتها) وطريق إلى الرّدع عن المعاصي حيث قال تعالى: (إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)(٢٤).

كذلك محبَّة السّيّدة الزّهراء وأبيها وبعلها وبنيها -عليهم أفضل صلوات المصلّين-، قال -تعالى-: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى).(٢٥)

بل إنَّ هذه المحبّة هي أفضل العبادات على الإطلاق بعد محبّة الله -تعالى-.

فقد ورد: (إنَّ حبّها عليها السلام إيمان وبغضها نفاق).(٢٦)

ومن الواضح أنَّ الإيمان له قيمة ذاتية وله الموضوعية، إلى جانب الطريقية.

ومن الواضح أيضاً أنَّ الإيمان هو جوهر العبادات.

رسالة إلى كلّ محب وشيعي

وبعد كلِّ ذلك، على محبي أهل البيت -عليهم السلام- وشيعته، أن يكونوا (الأنموذج الأسمى) والمثال الأعلى للمؤمن الملتزم، المطيع لله ولرسوله، بحيث يكون كل واحد منهم (مضرب المثل) وممّن يشار إليه بالبنان، في التّقوى والأخلاق الحميدة، والسّلوك الإيماني المشرق الوضّاء وان لا يسوغوا لأنفسهم ارتكاب حتى أصغر معصية، اعتماداً على كونهم محبّي لآل بيت الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-، وذلك لأنَّ:

إنَّ المحب لمن يحب مطيع

١: إنَّ المحب يجند كل طاقاته ليكتسب (رضا المحبوب) ويتحرّز عن كل ما يشينه أو يؤذيه أو يؤلمه أو ينغص عليه، ولاشك أنَّ معصية الله -سبحانه وتعالى- ـ خاصّة من قبل من ينتسب لأهل البيت -عليهم السلام- وممّن ينسبه الناس إليهم ـ مما يؤذي آل بيت رسول الله ويسخطهم.

إن أحدنا أراد نيل رضى أبيه أو ابنه أو صديق عزيز عليه، يجشم نفسه من العناء الكثير، ويضغط على رغباته، كي يلبّي رغبات صديقه أو من يحب...

فإذا كان من نحب، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها -صلوات الله عليهم-، وما أدراك من هم؟ أفلا يجدر بنا ـ محبيهم وشيعتهم ـ أن لا نسوؤهم بمعصية رب الأرباب وخالق البرايا وإله الكون؟!

وفي الشّعر المنسوب للإمام الصادق-عليه السلام- يقول:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنَّ المحب لمن يحب مطيع(٢٧)

ويكفي المحب والشيعي أن يلاحظ الرواية التالية، لتكفيه رادعاً عن المعصية:

إنَّ رجلاً من المنافقين قال لمولانا الرضا -عليه السلام-: " إنَّ من شيعتكم من يشرب الخمر على الطّريق ...، واعترضه آخر، فقال: إنَّ من شيعتكم من يشرب النبيذ (يعني الخمر) قال: فعرق وجهه الشّريف حياءً(٢٨).

التبليغ عبر العمل

٢: إنَّ علينا باعتبارنا محبين وشيعة لأفضل مخلوقات الله على الإطلاق، أن ندعوا الناس إلى سادتنا وقادتنا ومن نحبّهم، عبر العمل الصّالح، وعبر السّلوك الأخلاقي الأخاذ، فإنّ (سلوك الأتباع) ومحامد أخلاقهم هو من أقوى سبل الدّعوة والهداية، ومن أسرع الطّرق للتعريف بمن نحب، وقد قال الإمام الصّادق -عليه السلام-: "كونوا دعاة

الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاة بألسنتكم"(٢٩).

وقال -عليه السلام-: " إنَّ أحقّ الناس بالورع آل محمد وشيعتهم كي تقتدي الرّعيّة بهم"(٣٠).

والعكس بالعكس فإنَّ السّلوك الشّائن، واقتفاء سبيل العصاة والأشرار، مما يسبّب نفرة الناس وابتعادهم عمّن نحب، أفهل يجدر بالمحب أن يعطي انطباعاً سلبيّاً عن محبوبه؟ وهل يصح للمحب أن يشوّه ـ في أنظار الناس أو بعضهم على الأقل ـ الصورة المشرقة لمحبوبه؟ .

أوامر أهل البيت -عليهم السلام-

٣: إنَّ أوامر أهل البيت الأطهار-عليهم السلام- صريحة الاتجاه في هذا، فهم يؤكّدون أكبر التّأكيد على الالتزام بأوامر الله عزّوجلّ حرفيّاً، ويحذرون أكبر التّحذير من معصية الله عزوجل حتى في صغائر الأمور.

عن موسى بن جعفر-عليه السلام-: " قال لأحد أصحابه: (أعرف أصحابك وأقرئهم عنّي السلام وقل لهم: إنّي ومن جرى مجراي من أهل البيت لابد من حضور جنائزكم في أيّ بلد كان وكنتم، فاتّقوا الله في أنفسكم وأحصنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم وفكّ رقابكم من النّار".(٣١)

وما أدق التّعبير بـ (لتعينونا على خلاصكم) وما أعمق دلالته.

وعن أمير المؤمنين -عليه السلام- قال: قال رسول الله: " الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان"(٣٢).

وبعد كل ذلك إنَّ أئمة أهل البيت -عليهم السلام- يريدون من أن نكون (شيعة) لهم حقّاً إلى جوار كوننا محبّين، عن محمد بن عمر بن حنظلة قال: قال أبو عبد الله -عليه السلام-: "ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتّبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا"(٣٣).

وعن ابن المتوكل، عن البرقي، رفعه، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: "والله ما شيعة علي -عليه السلام- إلا من عفّ بطنه وفرجه، وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه"(٣٤).

آثار المعصية

٤: صحيح أنّ النّار محرّمة على من أحبّ عليّاً وفاطمة -عليهما السلام- ولا يدخل النار(٣٥) محب لهما، كما سبق في الرّوايات الشّريفة، وصحيح أنَّ كافَّة محبّيها يدخلون الجنة وإن عصوا ما عصوا، كما سبق أيضاً ـ ولا ينبغي التّشكيك في ذلك أبداً.

ولكن: على المحب والشّيعي أن يعرف أنَّ معصية الباري -جلّ وعلا- تستوجب مراتب من العقاب والعذاب في الدنيا والأخرى:

أ: فإنَّ المعاصي لها (آثار وضعية) في هذه الحياة الدنيا، فلربَّما سبَّبت له كثيراً من البلايا والمحن، فهذه المعصية قد تكون هي السَّبب في اصطدام سيارته وقتل فلذة كبده مثلاً، وتلك هي السّبب في الضّربة الماليّة التي وجّهت له، والأخرى هي العامل الغيبي الخفي الذي كان وراء انهيار شركته، أو تهدّم حياته العائلية، أو تعقّد معاملاته، وهكذا وهكذا. وكما أنَّ لله لطفاً جليّاً وخفيّاً، كذلك فإنَّ لغضبه وانتقامه ظهوراً وإخفاءً، ووضوحاً وجلاءً.

ب: ومن جهة أخرى فإنَّ المعاصي تستوجب العذاب الإلهي في لحظات الاحتضار، وفي القبر، وعالم البرزخ، والقيامة، وما بعدها أيضاً.

إذاً المحب لفاطمة وعلي وآلهما -عليهم السلام- يأمن من الخلود في نار جهنم أو من نار جهنم ـ حسبما يستشم من بعض الرّوايات الأخرى ـ ولكنه ليس بمأمن من سائر أنواع العذاب الإلهي.

والشّيعي ـ العاصي ـ سيدخل الجنّة حتماً ولكن بعد اللّتيّا والّتي، وبعد عملية (التطهير).. وبذلك نعرف أنّ القول بأنَّ محب فاطمة عليها السلام لا يدخل النار وستلتقطه حتماً إلى الجنة،

ليس فيه إغراء للناس بالمعاصي على الإطلاق، إلا بالقدر الذي يكون في إخبار الناس بأنّ الاستغفار ماحٍ للذنوب.

الهوامش:

١- عوالم العلوم والمعارف والأحوال: ج٦/ ص٣٠.

٢- بحار الأنوار: ج٣٩/ ص٢٤٦.

٣- المصدر نفسه: ج٣٩/ ص٢٤٨.

٤- النساء: الآية/ ١١٠.

٥- بشارة المصطفى: ص٨١..

٦- أمالي الطوسي: ج١/ ص١٦٦.

٧- بحار الأنوار: ج ٢٧/ ص ٧٧.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج٣/ ص١٨٣.

٩- عوالم المعارف ومستدركاتها: ج٢١/ ص٣٥٤/ ٣٥٥.

١٠-أي أنهم -عليهم السلام- يشفعون للإنسان؛ لأنه اتسم بصفة (المحبة) لآل بيت الرسول الاطهار-صلى الله عليه وآله-.

١١- بحار الأنوار: ج٦/ ص ١٩٧.

١٢- الأنبياء: الآية: ٢٦-٢٧.

١٣- بحار الأنوار: ج٧٨/ ص ١٨٢ .

١٤- المصدر نفسه: ج٦/ ص ١٦٠.

١٥- أي الأمراض والعوارض والمشاكل والمآسي.

١٦- بحار الأنوار: ج٨٣/ ص ٢٥٥.

١٧- المصدر نفسه: ج ٢٧/ ص ١٣٦.

١٨- المصدر نفسه: ج٣٩/ ص ٢٤٦ .

١٩- إزالة الخفاء للمحدث الدهلوي الحنفي/ ج٢/ ص ٤٥٣.

٢٠- بحار الأنوار: ج ٢٧/ ص٩٥.

٢١- يراجع كتاب (السيدة نرجس (عليها السلام) مدرسة الأجيال).

٢٢- طه: الآية/ ٣٩.

٢٣- الإسراء: الآية/ ٨٥.

٢٤- العنكبوت: الآية/ ٤٥.

٢٥- الشورى: الآية/ ٢٣.

٢٦- شرح الحديدي: ج١٦/ ص ٢٨٢.

٢٧- بحار الأنوار: ج٤٧/ ص ٢٤.

٢٨- علم اليقين للفيض: ج٢/ ص ٦٠٣.

٢٩- بحار الأنوار: ج ٧٥/ ص١٩٩ .

٣٠- المصدر نفسه: ج٦٥/ ص ١٦٦ .

٣١- دار السلام للنوري: ج٤/ ص ٢٩٣.

٣٢- عيون الأخبار: ج١/ ص ٢٢٧.

٣٣- بحار الأنوار: ج٦٥/ ص ١٦٤.

٣٤- صفات الشيعة: ص ١٦٦..

٣٥- أو لا يخلد في النار، اذ تصرح بعض الروايات بدخول بعض المحبين للنار ولكن دون خلود فيها.

يا زهراء

فاز الناجون بالجنة

آفاق جديدة في تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام

الشيخ فاضل المسعودي

من الشَّعائر الإسلامية التي أكَّد عليها القرآن الكريم هي شعيرة التَّسبيح، تلكم الشَّعيرة التي تزيد في إيمان الإنسان، وتضيف عليه هالة من النَّورانية عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم في كثير من آياته .

ولقد ورد في القرآن الكريم عدة ألفاظ للتسبيح فتارة يأتي على نحو صيغة الأمر، وتارة أخرى بصيغة الماضي أو الحاضر .. يسبح .. تسبّح .. وسبحان الله .. وهذا يعني أنّ التّسبيح له صفة الاستمرارية في كلِّ شيء وكما قلنا فالكون يسبح .. الخ .

وإذا تفحصنا القرآن الكريم نجد زخماً كبير من الآيات المباركة تصل العشرات تؤكد على مسألة التَّسبيح ومنها: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (١) . (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٢) . (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (٣) .

إذاً رحلة التّسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جدّاً، كلُّ ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التّسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جدّاً، كلُّ ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التّسبيح أعظم وأفضل ما يكون عليه الإيمان.

نأتي الآن إلى نورانية تسبيح فاطمة عليها السلام الذي يعتبر من الشّعائر الدّينية .

ولقد جاء الحث عليه من قبل الأئمة -عليهم السلام- في كثير من الأحاديث التي وصلت إلينا عبر الرّواة والمحدثين ومنها ما جاء عن لسان أبي جعفر -عليه السلام- قال: « ما عبدالله بشيء من التّمجيد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله -صلى الله عليه وآله- فاطمة عليها السلام » (٤) .

وعنه -عليه السلام- قال: « من سبّح تسبيح الزّهراء عليها السلام ثم استغفر غفر له وهي مائة باللسان، وألف في الميزان، وتطرد الشيطان، وترضي الرحمن » (٥) .

وجاء عن هارون المكفوف، عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: « يا أبا هارون ! إنَّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه، فإنَّه لم يلزمه عبد فشقي (٦).

كيفية التَّسبيح

قد وقع الخلاف بين العامَّة، والخاصَّة في كيفية تسبيحها عليها السلام، ومنشأ هذا الاختلاف ناشئ من الأخبار المختلفة في الباب من كلا الفريقين على أنّ كلاهما يقول عند البدء به بالتّكبير، ووقوع الاختلاف إنَّما كان في تقديم التَّحميد على التَّسبيح أو العكس، واختلف أصحابنا والمخالفون في ذلك، مع اتفاقهم جميعاً على استحبابه.

التَّسبيح من شعائر الدّين

التسبيح من شعائر الدّين ومحتواه الفداء والتّضحية، والفداء لا يكون إلاّ إذا سبقته تربية، وهو بعد ذلك كل يحتاج إلى رمز يدل عليه، وهنا نستطيع بقليل من التّركيز والانتباه أن نلمس هذين الشّرطين في تسبيح الزَّهراء -عليها السلام-...

الشّرط الأوّل، هو الشرط التَّربوي .. ونلمسه في تركيبة هذا التَّسبيح الذي علمه النبي -صلى الله عليه وآله- لابنته الزّهراء-عليها السلام-، والتّسبيح يتكون من أربع وثلاثين مرة الله أكبر ... وثلاث وثلاثين مرَّة الحمد لله، وثلاث وثلاثين مرَّة سبحان الله ... وفي نظرة واعية نلقيها على هذا الترتيب المتقدم نجد أنّ التّسبيح يبدأ باسم الله وينتهي باسم الله، فهو لم يبدأ بـ(الحمد الله)، ولا بدأ بـ(سبحان الله)، وإنَّما بدأ بـ(الله أكبر). وختم بـ(سبحان الله) حتى تكون أوّل كلمة في التَّسبيح هي كلمة الله، وآخر كلمة في التسبيح هي كلمة الله. انظروا إلى الكلمتين اللتين احاطتا بالتسبيح كما يحيط الهلال بحفة النّجوم في صدره، هذا هو الشّرط الأوّل، الشّرط التّربوي .. حيث ظهرت فيه الإشارة واضحة إلى المبدأ والمعاد .. فنحن من الله وسنرجع إليه ... إنّا لله، وإنّا إليه راجعون، وهذا معناه أنَّ القراءة والدّعاء، والتَّسبيح وكل حركة في الحياة يجب أن تكون باسم الله ... كما كانت أوَّل كلمة في القرآن: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٧).

فجعل القراءة منصبَّة في قالب أدبي تربوي .. (اقرأ باسم ربِّك) أي أنَّ القراءة يجب أن تنصب في إطار تربوي أدبي؛ لأنّ التّربية مشتقّة من الرَّب، او كلمة الرَّب مشتقّة من

التّربية وهو الأصح في اللغة. هذا هو الشّرط الأوّل، أمّا الشّرط الثّاني والذي يعني أنّ هناك رمزاً نتّخذ منه قدوة، وأسوة حسنة في تطبيق مضمون التّسبيح، فهو الفداء، والتّضحية ... وهنا تجد فاطمة الزّهراء عليها السلام حين أخذت درس هذا التسبيح من أبيها الرّسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- وحين أخذته من أبيها انطلقت به إلى قبر سيّد الشّهداء حمزة بن عبد المطلب -عليه السلام- وحين وصلت إلى القبر، جلست تصنع حبّات لمسبحتها من تراب قبر الشّهيد، أجل .. فاطمة تصنع مسبحة من تراب قبر الحمزة من أجل أن تعبق حبّات هذه المسبحة برائحة الشهادة، وتتضوع بعطر الشّهيد الذي أقدم الفداء والتضحية، من أجل الحق، من أجل أن يحيا الإنسان في أمن وطمأنينة، من أجل أن يعبد الناس ربَّ العالمين في حرّيّة ودون إكراه .. من أجل إعطاء الناس حرية وحقّاً وعدالة اجتماعية .. من أجل أن يندحر الظّالمون، وينهزم المستكبرون ويذل الطّغاة في الأرض . وفاطمة الزّهراء هنا تعطي الصلاة بعداً جهادياً تربوياً، إنّها تعطي العبادات أبعاداً توعوية تزيد في رشد الأمّة، نعم إنّها مسبحة للصلاة، ولكنها ليست مسبحة جامدة فيها حبّات من الطين ... كلا .. إنّما هي مسبحة مصنوعة من تراب ممزوج بدم الشهادة ونور الولاية .. وهذا هو الذي يجعل للصلاة معنى وقيمة ووزناً. ومن هنا جاءت فكرة السجود على تربة الحسين -عليه السلام- في الصلاة وذلك حتى نتذكّر دائماً أنَّ الصلاة لا تقوم في الأرض إلاّ بدماء الشُّهداء .

من كلِّ ذلك نخرج بحصيلة نافعة مفادها: أنَّ الشّعائر الفارغة لا تؤدّي دوراً نافعاً في الحياة ... بخلاف الشّعائر المليئة بالمضمون، والمحتوى فإنّها تبني الحياة وتسعد القلوب، وتربي النّفوس، وهي بعد ذلك قائمة على التّقوى، وملاكها طهارة القلوب وصفاء النّفوس. ولهذا نجد الزّهراء عليها السلام، حوّلت الشّعائر الإسلاميّة إلى سلوك يتحرّك في أعماق الإنسان، وبين يديه ومن خلفه .. إنَّ فاطمة عليها السلام حرّكت الشّعائر في القلوب وأعطتها قوّة دفع كبيرة يوم استطاعت أن تحرّك العواطف، وكثيراً من المشاعر، وتغذّي

العقول بفصاحتها وبلاغتها وقوّة بيانها. فهي لم تحرّك مشاعر الذين عاصروها، بل وأيضاً استطاعت أن تؤثّر في كلِّ الأجيال، وفي الشّعوب كافّة بحيث أصبح اسمها رمزاً للفداء والتّضحية والبطولة والعظمة. نعم، عندما يكون للشعار مضمون، فهذه كانت نظرة الزّهراء عليها السلام الثّاقبة في التّسبيح .

الزّهراء عليها السلام تعلّمت التّسبيح من النبي -صلى الله عليه وآله-

وفي تسبيح الزّهراء عليها السلام، نجد أنَّ الصِّديقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام قد حوَّلت هذا الشّعار إلى سلوك يومي، وذلك عندما علّمها أبوها النبي -صلى الله عليه وآله- هذا التّسبيح، ذهبت إلى قبر الحمزة بن عبد المطلب .. وأخذت تصنع من تراب قبره حبّات لمسبحتها لتدير بها هذا التسبيح . ومعنى ذلك أنّها أعطت الشِّعار محتوىً ومضموناً، ومعنىً، أي أنّها جعلته شعاراً حيّاً، وليس مجرد كلمات تتحرك بها الشّفاه واللسان، دون إدراك ولا استيعاب . إنَّ التّسبيح هو تنزيه الله عن البعث، إنَّه تسبيح يؤكّد الحكمة التي أقام الله -عزوجل- عليها الكون والحياة والإنسان .. والشّهادة هي قمّة هذه الحكمة .. أي أنّ الشّهيد قد بلغ حدّاً من الحكمة والكمال ليس بعده حدّ .. وهذه هي الفلسفة، والرّشد، الذي تريده الزّهراء عليها السلام، إنّه امتزاج بين التّسبيح وبين دماء الشّهداء . إنَّ الصلاة من دون دم الشهيد لا تساوي شيئاً . أو قل ؛ لولا الشُّهداء لما قام لهذا الدين عمود، وحمزة هو سيّد الشّهداء، طبعاً قبل واقعة الطَّف، وقبل مجيء يوم عاشوراء، فلمّا جاء يوم عاشوراء، يوم الحسين، أصبح الحسين -عليه السلام- هو سيّد الشّهداء، كما أنَّه سيّد شباب أهل الجنة، وسيّد الأحرار في العالم، إنَّه احتكاك فكري، وحضاري بين التّسبيح وبين دماء الشّهداء، وهذا هو الفارق الذي تنفرد به الحضارة الإسلاميّة عن غيرها من حضارات خاوية فارغة، ونحن حينما نصلّي على تربة الحسين -عليه السلام-، فإنّنا نقيم هذا المعنى في القلوب، وهو: أنَّ الصلاة لا تقوم إلاّ بالشهادة، وذلك نخاطب الحسين -عليه السلام- في الزّيارة؛ أشهد أنَّك قد أقمت الصلاة » أي أشهد أنّك

بشهادتك قد أقمت الصلاة، وحفظتها من الضّياع، وأنت قد أقمت الصلاة بأهدافها ومبادئها قبل مصرعك، وقبل يوم شهادتك. على أنَّ السّجود هو على التّربة الحسينية، وليس للتربة، وهناك فرق بين السّجود على الشّيء والسّجود للشيء، فالسّجود للأشياء قطعاً حرام. في حين أنَّ السّجود على التّربة إنّما هو سجود لله وليس للتربة .

واذا كان التّسبيح معناه التّنزيه ومعناه معرفة الله-تعالى-، فمن - يا ترى - ينزه الله، ويعرف أكثر من الشّهداء؟

إنَّ الشَّهيد يشكّل قمّة حضارية عالية في معرفة الحق -سبحانه وتعالى-، ولذلك صنعت فاطمة عليها السلام حبّات المسبحة من تُراب أقدس شهيد هوى إلى الأرض بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وآله- ويكفي أنّ الزّهراء حين تصلّي وتسبّح الله في صلاتها، تتمثّل صورة الشّهادة في أنصع أشكالها، وأروع معانيها أمام عينيها وكفى بذلك فخراً وتربية وارتفاعاً في سماء المجد، وآفاق السماحة والشجاعة، والفصاحة والمحبة في قلوب المؤمنين، من هنا جاءت فكرة السّجود على تراب كربلاء؛ لأنّ تراب كربلاء تضمّن جسد الحسين -عليه السلام- .. ومن هو الحسين ؟ الحسين بن رسول الله ... الحسين ابن فاطمة .. الحسين الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وآله-: « حسين مِنِّي وأنا من حسين أحب الله من أحبَّ حسينا ».. ونحن عندما نسجد على قطعة من تراب كربلاء ونحتفظ بها في جيوبنا فإنَّ ذلك يرمز إلى شيئين:

الأوّل: إنّنا نطبّق سنّة شريفة جارية، وهي السّجود على الأرض وفقاً لتعاليم الحبيب المصطفى-صلى الله عليه وآله-.

والثاني: أنّنا نتذكّر الإمام الحسين-عليه السلام- دائماً الذي كان أقرب الناس إلى قلب جدِّه رسول الله، والذي كان يوم عاشوراء يلبس جبّة النبي-صلى الله عليه وآله-، وعمامته .. والقرآن الكريم يقول: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٨) . وقد أتانا النبي بالحسين وأهل بيته-صلوات الله عليهم أجمعين-، فقال: «حسين

منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبّ حسينا » . فكما أنَّ الزّهراء عليها السلام، تريد أن تجعل أهداف الشّهداء نصب عينيها حين تصنع سبحة لها من تراب قبر الشّهيد، كذلك نحن نريد أن نتذكّر أهداف الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ حين نصلّي على قطعة من تراب أرض كربلاء المقدسة.

إذاً ففاطمة الزّهراء عليها السلام بذهابها إلى قبر الحمزة، أعطت شعيرةً للتسبيح، وحياةً، وعطاءً تربوياً، لا حدود له، هذا بالإضافة إلى أنّها علّمتنا كيف نتعامل مع شعائر الله، وكيف نحوّل الشّعار إلى سلوك عملي نمشي به في الناس، على أنّ تسبيح الزّهراء عليها السلام، قد صبه النبي في إطار تربوي عميق حين جعله يبدأ وينتهي بالله -عز وجل- .

إنَّ لفاطمة الزّهراء -سلام الله عليها- قدرة عجيبة، ومدهشة على تصوير المعاني الجافة وإعطائها صوراً حيّة، ثم منحها الكبير من المعاني في أرفع درجات الفهم، والاستيعاب، وأنّ قدرتها كما قلت آنفاً ـ على تصوير قضايا الإسلام تصويراً دقيقاً، لمدهشة جداً، فما من كلمة تقولها فاطمة عليها السلام، وما من دمعة تسكبها من عينيها، وما من خطوة تخطوها إلاّ صوّرت الإسلام بكل أبعاده تصويراً حقيقياً وواضحاً، يبهر الألباب ويأخذ بمجامع القلوب، وهذه ميزة في أهل البيت -عليهم السلام- لا يشاركهم فيها أحد من العالمين... .

الحديث الذي يأتينا من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، يأتي حديثاً لهم نور هو من نور القرآن، بل أنّنا نجد حديثهم يتعانق مع القرآن عناقاً طويلاً، في مودّة وإخلاص .. فليس هناك حديث عن أهل البيت يخالف القرآن أبداً .. ومن هنا جاء حديث الثّقلين الشّهير الذي تذكره كل كتب الصّحاح والحديث بدءاً من صحيح البخاري ومسلم، مروراً بصحيح التّرمذي والنّسائي وابن ماجه وابي داود، وانتهاءً بمسند بن حنبل والصّواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني ... كل هذه الكتب قد اجمعت واتّفقت على كلمة واحدة وهي: أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- قال: " إنّي

تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي، وقد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما، أي الكتاب والعترة لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » .

والآن وبعد هذه الجولة السّريعة في رحاب التّسبيح، تسبيح الصديقة فاطمة الزهراء ـ صلوات الله وسلامه عليها ـ فإنّه يجدر بنا أن نرجع إلى معالم هذا التّسبيح الذي أصبح شعاراً يرفعه المناضلون، والمجاهدون في وجوه الطّغاة والجلّادين .. بل أنّ هذا التّسبيح ـ أعني تسبيح الزّهراء ـ قد جمع كل مناهج الإنسان المؤمن في، الحياة فهو يبدأ بـ(الله أكبر) .. ثم (الحمد لله) وينتهي بـ(سبحان الله) . وهذه هي مناهج المؤمن ومعالم الإيمان في الأرض . ان تبدأ بسم الله .. وتعتقد أنّ الله أكبر من كل شيء في هذا الوجود، إنّه أكبر من المال، وأكبر من السلطان، وأكبر من الأهل، والنّفس، والحياة، وإذا كان أكبر من كل هذه الأشياء، فمعنى ذلك أنّك تكون على أهبة الاستعداد لأن تضحّي بنفسك وأهلك، ومالك وكل غالٍ ونفيس في سبيل كلمة « الله اكبر » .. ومن هنا ندرك السّر المكنون الذي جعل الصّدّيقة الزّهراء تذهب إلى قبر الحمزة سيّد الشّهداء وتصنع من تراب قبره حبّات لمسبحتها، وكأنّها بهذا العمل تعلّمنا درساً، وهو أنّ كلمة الله أكبر التي جاءت في أوّل تسبيح الزّهراء، هذه الكلمة لا يحفظها إلاّ الشّهداء، ولا يحصنها من غائلة العوادي إلاّ دماء الشّهداء ... إنّ كلمة الله أكبر .. تعني الصّدق والوفاء والإخلاص، والشّجاعة والعفّة والزّهد، والشّرف الرّفيع، وهذه لا تسلم أبدا من أيدي العابثين إلاّ بسفك المهج وإراقة الدّماء

أجل ... إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لتدرك جيداً أنّ هذا الشعار الذي أخذته من النبي لا يمكن حفظه إلاّ بالتضحية، والشهادة ولذلك قامت بخطوة تكريمية للشهداء، وهي أنّها جعلت من تراب قبر الشّهيد حبّات لمسبحتها، لتدير عليها هذا المنهج الملائكي النّوراني الذي سمّي: تسبيح الزّهراء . ونفس الشّيء يقال بالنسبة للحمد، فالحمد هو

أعلى قمّة يمكن أن يصل إليها الإنسان، ومن هنا كانت سورة الحمد أم الكتاب، لأنّها جمعت التّعبير كلّه ولخّصت مسيرة الأنبياء جميعاً في مضمونها، إذاً تسبيح فاطمة الزّهراء ـ سلام الله عليها ـ إنّما جاء ليزرع في أعماقنا شتائل النور، ويبادر الحب والعطاء .. لقد جاء هذا التّسبيح الجامعي العظيم، ليشعل في قلوبنا قناديل الأمل والرّجاء ويمنحنا الطمأنينة والسّلام، ولكي نتذوّق حلاوة التّسبيح، فإنّه لابُد لنا من المواظبة على قراءته في أعقاب كل صلاة نصليها وذلك لأنّه يدفع البلاء عنا، ويجلب الرزق ويعمنا بسحاب البركة والخير الكثير والله ولي التوفيق (٩) .

وختاماً للموضوع نذكر أهم فوائد وآثار هذا التّسبيح المبارك الذي منّه رسول الله-صلى الله عليه وآله- علينا من لسان ابنته فاطمة علماً بأنَّ هذه الآثار والفوائد إنّما أخذناها واستفدنا منها من خلال عدد كبير من الأحاديث المأثورة عن لسان أهل البيت -عليهم السلام- .

١ ـ إن تسبيح فاطمة عليها السلام من الخير الكثير للمؤمن (١٠) .

٢ ـ من قرأ هذا التّسبيح عند النّوم بات وله ألف حسنة وعند قيامه من نومه ـ الذي قرأ فيه التسبيح ـ له ألف حسنة (١١) .

٣ ـ إنَّ هذا التسبيح مائة باللسان وألف في الميزان وذلك قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » إلى مائة ألف (١٢) .

٤ ـ إنَّه ما عبدالله تعالى بشيء من التّمجيد أفضل من تسبيح فاطمة (١٣) .

٥ ـ من سبح هذا التسبيح ثم استغفر الله غفر له وهي مائة باللسان ـ أي التسبيحة ـ وألف في الميزان وتطرد الشيطان وترضي الرحمن (١٤) .

٦ ـ إنَّه ما يلزمه عند مؤمن فشقي في حياته (١٥) .

٧ ـ إنَّه من سبَّح هذا التسبيح في دبر الصلاة المكتوبة من قبل أن يبسط رجليه أوجب الله له الجنة ـ وفي رواية غفر له (١٦) .

٨ ـ من سبَّح هذا التَّسبيح قبل أن يثني رجليه بعد انصرافه من صلاة الغداة غفر له (١٧).

٩ ـ إنَّ من قرأه وكان في سمعه ثقل دفع الله عنه هذا الثقل الذي في أذنيه (١٨).

١٠ ـ إنَّ هذا التَّسبيح أفضل شيء علَّمه رسول الله لفاطمة عليها السلام (١٩).

١١ ـ إنَّ هذه التّسبيح عند الأئمة -عليهم السلام- دبر كل صلاة أحبّ إليهم من صلاة ألف ركعة في كل يوم (٢٠).

١٢ ـ إنَّه من الذّكر الكثير ـ أي من سبّح هذا التَّسبيح المبارك كان من الذَّاكرين من الله كثيراً « واذكروا الله ذكراً كثيرا » والذّاكرين الله والذّاكرات الله » (٢١).

١٣ ـ إنّ من سبّح تسبيح الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة عليها السلام بسبحة من طين قبر الحسين -عليه السلام- كتب الله له أربعمائة حسنة ومحى عنه أربعمائة سيئة وقضيت له أربعمائة حاجة ورفع له أربعمائة درجة (٢٢).

الهوامش:

(١) الحديد: الآية/ ١.

(٢) الحشر: الآية/ ٢٤.

(٣) ق: الآية/ ٣١.

(٤) الكافي: ٣ | ٣٤٣.

(٥) ثواب الأعمال: ١٩٦.

(٦) أمالي الصدوق: ٤٦٤.

(٧) سورة العلق: الآيات من ١ ـ ٥.

(٨) سورة الحشر: الآية ٧.

(٩) اعلموا اني فاطمة: ٢ | ٦٨١ ـ ٦٩٨.

(١٠) مسند احمد: ٦ | ٢٩٨.

(١١) فتح الباري في شرح البخاري: ١١ | ١٠٢.

(١٢) كنز العمال: ٢ | ٥٨.

(١٣) الكافي: ٣ | ٣٤٣ .
(١٤) ثواب الأعمال: ١٩٦.
(١٥) أمالي الصدوق: ٤٦٤ .
(١٦) فلاح السائل: ١٦٥.
(١٧) المصدر السابق .
(١٨) مشكاة الأنوار: ٢٧٨ ح ١٤ .
(١٩) التهذيب: ٣ | ٦٧ ح ٢١ .
(٢٠) كشف الغمة: ١ | ٤٧١ .
(٢١) معاني الأخبار: ١٩٣ .
(٢٢) البحار: ٨٥ | ٣٤٠ .

يا فاطمة الزهراء

منهج الزّهراء عليها السلام في التّربية

الشَّيخ فراس الكدساوي

من القضايا المهمّة في حياة سيدتنا، ومولاتنا الصِّدّيقة الزّهراء -سلام الله عليها- قضية التَّربية، حيث أنّ ما عرفناه عنها أنَّها أنجبت الذُّرّية الطَّيبة التي لا تدانيها ذرية إنسانية أخرى في الصَّلاح على مدى التَّاريخ، فهي القمَّة فوق القمم، وهي المثل الأعلى في الخير، والأصالة.

ومن الطَّبيعي أن كانت لهذه التَّربية قواعد، وأصول، وضوابط؛ قد ألهمها الله-تعالى- للصّدّيقة الزَّهراء عليها السلام كما علّمها أبوها الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-.

فيا ترى متى بدأت الزهراء-صلوات الله عليها- وكيف ربّت أبناءها، وبناتها؟

فالحقيقة تؤكّد لنا أنَّ السيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام قد أنشأت بطريقتها التّربوية أعلى مدرسة مثالية؛ تخرّج عنها الحسنان، وزينب، وأم كلثوم -عليهم السلام-.

ولمعرفة أبعاد كلِّ ذلك تطالعنا بادئ بدء قصّة عبادة، وتهجّد الزّهراء عليها السلام، حيث كانت تحرص كلّ الحرص على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها في آناء الليل وأطراف النهار، وتعلمهم بذلك أنواع التَّبتل، والتَّهجد، قال الإمام الحسن -عليه السلام-: «رأيت أمّي فاطمة -عليها السلام- قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء..

فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بني، الجار ثمّ الدّار»(١).

هذا من ناحية التَّربية الدِّينية التي تكاد تكون فريدة من نوعها. أمّا من النَّاحية العلمية؛ فقد ذكرت لنا روايات التاريخ الفاطمي كيف أنَّ الزَّهراء-صلوات الله عليها- كانت تُعلِّم الإمامين الحسن والحسين -عليهما السلام- خطب رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهما لم يبلغا الخامسة من العمر بعد، حيث كانت تطلب إليهما- كطريقة من طرق التعليم - إعادة ما سمعاه من خطاب الرَّسول الأكرم-صلى الله عليه وآله- على

مسامعها، ثمَّ إنَّها كانت تعيد الكرّة بحضور أمير المؤمنين -عليه السلام- ليسرّ قلبه بسيرتها التّربويّة.

ولقد شاهد التّاريخ المستوى الفريد من نوعه الذي بلغه هذان الإمامان الفذّان في العبادة، والخطابة، حتّى أنَّ العبّاد، والخطباء كانوا في ذلك الزّمن وما تلاه يقرّون لهم بالفضل، والأولوية في هذين المجالين. فمعاوية على جرأته القاسية المعهودة كان يتمنى - ولو لمرة واحدة - أن يتفوّق على الإمام الحسن -عليه السلام- في الحديث، أو يحرجه في الكلام، فكان يجمع إليه العتاة المردة، أمثال عمرو بن العاص ومروان والمغيرة وغيرهم ممّن لا تأخذهم في الباطل لومة لائم، فيبدؤون بمهاتراتهم الكلامية محاولين إيقاع الإمام الحسن المجتبى -صلوات الله عليه- في المطبات الكلامية، إلاّ أنّهم لم يكونوا ليجدوا منه سوى الحكمة، والعلم، والأخلاق، ورباطة الجأش، حتّى يقول قائلهم: لقد زُقَّ الحسن بن علي العلمَ زقّاً، وأنّ الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذا هو الحسين الشهيد -عليه السلام- نراه في واقعة الطّف الدّامية كالأسد الهصور في خطاباته كما هو في نزاله، حيث لم يكن بوسع فرد من أفراد جيش الأمويين الجرار الذي تكالب على قتاله، أن يدانيه في الخطاب وإلقاء الحجّة والبيان، مما اضطرّهم في نهاية المطاف إلى رميه بالحجارة والنّبال على بعد، تحاشياً عن مواجهة هيبته عن قرب.

وها هي الزّهراء أيضاً نجدها في خطبتها الفدكية الشّهيرة تختص ابنتها زينب بالاصطحاب إلى مسجد أبيها النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- لتقارع الرّدّة، والعناد، والطّمع الذي أصاب نفوس القوم بعد استشهاد الرسول -صلى الله عليه وآله-؛ الأمر الذي يشير إلى وعي الزّهراء عليها السلام للحقائق، والأحداث التّاريخية، والمستقبلية، حيث كانت بذلك تنمي قابليات ابنتها زينب لتحدّي الطُّغيان، والفساد الذي سيصيب الأمّة الظّالمة في عهد الإمام الحسين -عليه السلام-.

وما أروع عقيلة الهاشميين حيث وقفت إلى جانب أخيها سيّد الشّهداء محامية عنه، وعن

أطفاله، وأطفال وعوائل سائر الشّهداء، بالإضافة إلى وقوفها إلى جنب الإمام المعصوم زين العابدين -صلوات الله عليه- في محنه.

ولقد سجّلت صفحات التّاريخ بأحرف من نور خطابات السّيّدة زينب عليها السلام في مسجد الكوفة، وهو مسجد أبيها، كما كان مسجد المدينة مسجد النبي أبي الزّهراء -صلى الله عليه وآله- حيث قارعت فيه طغيان عبيد الله بن زياد، وكشفت مفاسده على مرأى، ومسمع من النّاس، وكذلك لا ينسى التاريخ خطاباتها الأخرى التي ألقتها في شوارع الكوفة، ودمشق وفي قصر يزيد -لعنة الله عليه-، تلكم الخطب التي إن نمّت عن شيء فإنّما تنم على مستوى الوعي، والحكمة، والعظمة التي تحملتها السيدة زينب بنت علي- صلوات الله عليها- لدى خوضها معترك السّياسة، والولاية.

ومن خطبها -عليها السلام-: " أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدّني والشّريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي، ولا من حماتهنّ حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشّهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشّنف والشّنآن، والاحن والاضغان؟ ثم تقول غير متأثّم ولا مستعظم: وأهلّوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل منتحيا على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة واستأصلت الشّأفة، بإراقتك دماء ذرّيّة محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودن أنّك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت " اللهم خذ بحقّنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا " فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحمك، ولتردنّ على رسول الله بما تحملت من سفك دماء

ذرّيته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يُرزقون، حسبك بالله حاكما، وبمحمد خصيماً وبجبرئيل ظهيرا، وسيعلم من سوى لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ولئن جرت عليّ الدّواهي مخاطبتك إنّي لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصّدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النّجباء بحزب الشّيطان الطّلقاء...."(٢).

وهذا بطبيعة الحال لم يكن ليحدث أو ليكون لولا ما بذلته سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول عليها السلام من جهود جبّارة في تربية أولادها الكرام البررة.

وبين هذا وذاك، لا يسعنا سوى القول بأنّ بداية الانطلاق في تربية الأطفال وتنشئتهم إنّما تكون منذ أن يروا نور الحياة، بل حتى قبل هذا.

الزّهراء عليها السلام كانت على درجة رفيعة للغاية في امتلاكها لثقافة الأمومة التي من أوّل معطياتها النّظر باحترام بالغ إلى الأولاد الأطفال، وبالتّالي التّعامل مع كلِّ فردٍ منهم على أنّه إنسان مكتمل مؤهّل لتلقّي التّربية والتّعليم، وليس الانتظار به حتى يكمل السّادسة، والسّابعة من عمره حتى يعلّم أو يُربّى، كما هو حادث في زمننا المعاصر.

فأن تتعلم البنت قبل أن تكون أمّاً ثقافة الحياة، وثقافة الأمومة، خير لها من أن تتعلّم علوم الحياة الأخرى، رغم عدم وجود المانع من ذلك.

فالبنت مسؤولة قبل كلِّ شيء سواء أمام الله -تعالى- أو أمام مجتمعها عن تعلّم أسس التّربية والتّعليم، بما يضم ذلك من القواعد الصّحّيّة خاصة بسلامتها وسلامة طفلها، ومن النّواحي الرّوحية والعاطفية التي لابد للطفل من أن يأخذ نصيبه الوافر منها، للحيلولة دونه ودون ابتلائه وتعرّضه للأزمات النّفسية التي تجرّ إلى الويلات الاجتماعية فيما بعد.

وكذلك من الأبعاد الدّينية، حيث يتوجب على الأم ومنذ انعقاد نطفة جنينها الالتزام بتعاليم الدين الخاصّة بطهارة المولد، ونقاء الجنين، أو الوليد، أو الطفل اليافع من الحرام، فهذا كلُّه ذو تأثير بالغ على حياته ومستقبله.

وفي نهاية المطاف الأم المسلمة لابد لها أن تعي موقعها الحسَّاس في المجتمع، إذ أنَّ كلَّ حركةٍ أو سكنة تصدر منها لها الأثر البالغ على طبيعة أولادها، وأجيالهم فيما بعد، وهذا الوعي من طبيعته أن يشمل النَّواحي الصِّحية، والعاطفية، والدِّينية، والعلمية.

ولا يمكن بشكلٍ من الأشكال أن تعي المرأة الأم كلَّ ذلك بمجرد أنَّها أصبحت أمّاً، بل لا بُدّ من التَّمهيد لذلك عبر نشر ثقافة الأمومة، التي هي تجسيد لثقافة الحياة على وسعها، حيث تتكرّس ضرورة تلقي البنات ومنذ نعومة أظفارهنّ تلكم الثَّقافة، لتجري فيهنّ مجرى الدَّم في العروق، ولا أحسن من تدوين تفاصيل ثقافة الأمومة عبر الدّراسة الدّقيقة والواعية لحياة قدوات النّساء المسلمات، وفي مقدّمتهن الزهراء البتول والسيدة زينب -عليهما صلوات الله وسلامه- .

الهوامش:

١- علل الشرائع/ ص١٨١.

٢- بحار الأنوار / ج ٤٥ / ص ١٣٤.

يا زهراء

السلام عليك يا فاطمة الزهراء

ظلامات الزهراء عليها السلام من خلال زيارتها، والصلاة عليها

حيدر فائق الهنداوي

إنّ ما يحزّ في النّفس، ويوجع القلب حقّاً أن تقترن كلمة الظّلامة باسم سيّدة النِّساء فاطمة الزّهراء عليها السلام ابنة خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين -صلّى الله عليه وآله- وتلازمها، فما ذكر اسمها الشّريف إلاّ وتبادر إلى الذِّهن ظلاماتها، وما لحقها من حيف وغبن. وهنا التّأكيد على هذه المسألة، الحقيقة الموجعة المرّة، من خلال ما يلي:

١- **جمال الأسبوع للسَّيّد ابن طاووس**، بإسناده عن أبي محمّد، الحسن بن عليّ العسكري -عليهما السّلام- قال: " الصّلاة على السَّيّدة فاطمة عليها السلام (أن تقول): " أللهمّ صلّ على الصِّدّيقة فاطمة الزَّهراء، الزّكيّة، حبيبة نبيّك، وأُمّ أحبّائك وأصفيائك، الّتي انتجبتها وفضّلتها، واخترتها على نساء العالمين. أللهمّ كُن الطّالب لها ممّن ظلمها، واستخفّ بحقّها. أللهمّ وكن الثّائر لها بدم أولادها. أللهمّ وكما جعلتها أُمّ أئمّة الهدى، وحليلة صاحب اللواء، الكريمة عند الملأ الأعلى. فصلّ عليها وعلى أُمّها خديجة الكبرى صلاةً تكرم بها وجه محمّد -صلّى الله عليه وآله-، وتقرّ بها أعين ذرّيّتها، وأبلغهم عنّي في هذه السّاعة أفضل التّحيّة والسّلام" (١).

٢- **إقبال الأعمال للسَّيد ابن طاووس**، تزار بما قدّمناه في كتاب جمال الأسبوع، عند حجرة النبيّ -صلّى الله عليه وآله- لمن حضر هناك، وإلاّ تزار من أيّ مكان كان...:

" السلام عليكِ يا بنت رسول الله، السلام عليكِ يا بنت نبيّ الله، السلام عليكِ يا بنت حبيب الله، السلام عليكِ يا بنت خليل الله، السلام عليكِ يا بنت صفيّ الله، السلام عليكِ يا بنت أمين الله، السلام عليكِ يا بنت خير خلق الله، السلام عليكِ يا بنت أفضل أنبياء الله، السلام عليكِ يا بنت خير البريّة، السلام عليكِ يا سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، السلام عليكِ يا زوجة وليّ الله وخير الخلق بعد رسول الله، السلام عليكِ يا أُمّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، السلام عليكِ يا أُمّ المؤمنين، السلام عليكِ أيّتها الصدّيقة الشّهيدة، السلام عليكِ أيّتها الرضيّة المرضيّة، السلام عليكِ أيّتها الصّادقة الرّشيدة، السلام عليكِ أيّتها الحوراء الإنسيّة، السلام عليكِ أيّتها التّقيّة النّقيّة،

السلام عليكِ أيّتها المحدّثة العليمة، السلام عليكِ أيّتها المعصومة المظلومة، السلام عليكِ أيّتها الطّاهرة المطهّرة، السلام عليكِ أيّتها المضطهدة المغصوبة، السلام عليكِ أيّتها الغرّاء الزهراء (٢) السلام عليكِ يا مولاتي وابنة مولاي، وعلى روحك وبدنك، أشهدُ أنّكِ مضيت على بيّنة من ربّكِ، وأنّ من سَرّكِ فقد سرّ رسول الله -صلّى الله عليه وآله- ومن جفاكِ فقد جفا رسول الله -صلّى الله عليه وآله- ومن آذاكِ فقد آذى رسول الله -صلّى الله عليه وآله- ومن وصلكِ فقد وصل رسول الله، ومن قطعكِ فقد قطع رسول الله؛ لأنّك بضعة منه، وروحه الّتي بين جنبيه ـ كما قال عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام: أُشهد الله وملائكته أنّي راض عمّن رضيتِ عنه، وساخط على من سخطتِ عليه، وليّ لمن والاكِ، وعدوٌّ لمن عاداكِ، وحرب لمن حاربكِ، أنا يا مولاتي، بكِ وبأبيكِ وبعلكِ والأئمّة من ولدك موقن، وبولايتهم مؤمن، وبطاعتهم ملتزم، أشهد أنّ الدين دينهم، والحكم حكمهم، وأنّهم قد بلّغوا عن الله عزّ وجلّ، ودعوا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، وصلوات الله عليكِ وعلى أبيكِ وبعلكِ وذرّيتكِ الأئمّة الطاهرين، أللهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته، وصلّ على البتول(٣). الطّاهرة الصدّيقة المعصومة، التقيّة النقيّة، الرضيّة الزكيّة الرشيدة، المظلومة المقهورة، المغصوبة حقّها، الممنوعة إرثها، المكسور ضلعها، المظلوم بعلها، المقتول ولدها، فاطمة بنت رسولك، وبضعة لحمه، وصميم قلبه، وفلذة كبده، والنخبة منك له (٤).

٣- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي.

عن محمّد بن أحمد بن داود، عن محمّد البصري، قال: حدّثنا الحسن بن محمّد السيرافي، قال: حدّثنا العبّاس بن الوليد المنصوري، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد العريضي، قال: حدّثنا أبو جعفر -عليه السلام- ذات يوم: إذا صرت إلى قبر جدّتك فاطمة عليها السلام فقل: يا ممتحنة امتحنك الله الّذي خلقكِ قبل أن يخلقكِ، فوجدك لما امتحنك صابرة، وزعمنا أنّا لكِ أولياء ومصدّقون وصابرون لكلّ ما أتانا به أبوك -صلّى الله عليه وآله- وأتانا به

وصيّه -عليه السلام- فإنّا نسألكِ إن كنّا صدّقناك إلاّ ألحقتنا بتصديقنا لهما بالبشرى، لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتكِ (٥).

وأورد الشيخ الطوسي في نفس المصدر أيضاً ما نصّه: هذه الزيارة وجدتها مرويّة لفاطمة عليها السلام وأمّا ما وجدت أصحابنا يذكرونه من القول عند زيارتها عليها السلام فهو أن تقف... وتقول: السلام عليكِ يا بنت رسول الله، السلام عليكِ يا بنت نبيّ الله، السلام عليكِ يا بنت حبيب الله، السلام عليكِ يا بنت خليل الله، السلام عليكِ يا بنت صفيّ الله، السلام عليكِ يا بنت أمين الله، السلام عليكِ يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليكِ يا بنت خير البريّة، السلام عليكِ يا سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، السلام عليكِ يا زوجة وليّ الله وخير الخلق بعد رسول الله، السلام عليكِ يا أُمّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، السلام عليكِ أيّتها الصّدّيقة الشّهيدة، السلام عليكِ أيّتها الرّضيّة المرضيّة، السلام عليكِ أيّتها الفاضلة الزكيّة، السلام عليكِ أيّتها الحوراء الأنسيّة، السلام عليكِ أيّتها التّقيّة النقيّة، السلام عليكِ أيّتها المحدّثة العليمة، السلام عليكِ أيّتها المغصوبة المظلومة، السلام عليكِ أيّتها المضطهدة المقهورة، السلام عليكِ يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلّى الله عليكِ وعلى روحكِ وبدنكِ، أشهد أنّكِ مضيت على بيّنة من ربّكِ، وأنّ من سرّكِ فقد سرّ رسول الله، ومن جفاكِ فقد جفا رسول الله، ومن آذاكِ فقد آذى رسول الله، ومن وصلكِ فقد وصل رسول الله، ومن قطعكِ فقد قطع رسول الله، لأنّكِ بضعة منه وروحه الّتي بين جنبيه ـ كما قال -صلّى الله عليه وآله- ـ أُشهد الله ورسله وملائكته أنّي راضٍ عمّن رضيتِ عنه، ساخط على من سخطتِ عليه، متبرّئ ممّن تبرّأتِ منه، موالٍ لمن واليت، معادٍ لمن عاديتِ، مبغض لمن أبغضتِ، محبّ لمن أحببتِ، وكفى بالله شهيداً وحسيباً وجازياً ومثيباً. ثمّ تصلّي على النبيّ -صلّى الله عليه وآله- والأئمّة -عليهم السلام- (٦).

٤- مصباح الأنوار(٧).

عن جعفر بن محمّد الصّادق، عن آبائه -عليهم السلام- قال: من زار قبر الطّاهرة فاطمة -سلام الله عليها-، فقال: السلام عليكِ يا سيّدة نساء العالمين، السلام عليكِ يا والدة الحجج على الناس أجمعين، ثمّ يقول: أللهمّ صلّ على أمتكِ وابنة نبيّك، وزوجة وصيّ نبيّك صلاةً تزلفها فوق زلفى عبادك المكرمين من أهل السماوات وأهل الأرضين. ثمّ استغفر الله، غفر الله له وأدخله الجنّة(٨).

٥- مصباح الزّائر لابن طاووس.

زيارة فاطمة عليها السلام في الروضة، تقف في الموضع المذكور، وتقول:

السلام على البتول الطّاهرة، والصدّيقة المعصومة، والبرّة التّقيّة، سليلة المصطفى، وحليلة المرتضى، وأُمّ الأئمّة النّجباء. اللهمّ! إنّها خرجت من دنياها مظلومة مغشومة (٩) قد ملئت داءً وحسرة وكمداً (١٠) وغصّة، تشكو إليك وإلى أبيها ما فعل بها. أللهمّ انتقم لها، وخذ لها بحقّها. اللهمّ صلّ على الزّهراء، الزّكيّة، المباركة، الميمونة، صلاة تزيد في شرف محلّها عندك، وجلالة منزلتها لديك، وبلّغها منّي السّلام، والسلام عليها ورحمة الله وبركاته(١١).

وذكر أيضاً زيارتها عليها السلام من بيتها وبالبقيع، تقول:

السّلام على البتول الشّهيدة ابنة نبيّ الرّحمة، وزوجة الوصيّ الحجّة، ووالدة السّادة الأئمة، السلام عليكِ يا فاطمة الزّهراء، ابنة النبيّ المصطفى. السلام عليكِ وعلى أبيك، السّلام عليكِ وعلى بعلكِ وبنيكِ. السلام عليكِ أيّتها الممتحنة، السلام عليكِ أيّتها المظلومة الصّابرة، لعن الله من منعكِ حقّكِ، ودفعكِ عن إرثكِ، ولعن الله من ظلمكِ وأعنتكِ(١٢) وغصّصكِ بريقكِ، وأدخل الذلّ بيتكِ. ولعن الله من رضي بذلك، وشايع فيه، واختاره وأعان عليه، وألحقهم بدرك الجحيم. إنّي أتقرّب إلى الله سبحانه بولايتكم أهل البيت، وبالبراءة من أعدائكم من الجنّ والإنس، وصلّى الله على محمّد

وآله الطّاهرين(١٣).

٦- المزار لابن المشهدي مثله(١٤).

٧- البلد الأمين للكفعمي.

زيارة أُخرى لها ـ أي، لفاطمة الزّهراء عليها السلام: قف بالروضة، وقل:

السلام عليك يا رسول الله، السلام على ابنتك الصدّيقة الطاهرة، السلام عليكِ يا فاطمة، يا سيّدة نساء العالمين، السلام عليكِ أيّتها البتول الشّهيدة. لعن الله مانعكِ إرثكِ، ودافعكِ عن حقّكِ، والرادّ عليكِ قولكِ. لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم، صلّى الله عليكِ وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمّة الراشدين -عليهم السلام- ورحمة الله وبركاته (١٥).

الهوامش:

(١) جمال الأسبوع: ٤٨٣.

(٢) الغرّاء: البيضاء المنوّرة، والميمونة المباركة، أو الشريفة الكريمة. والزهراء: البيضاء المنيرة.

(٣) قال الجزري في النهاية: ١/ ٩٤ سمّيت فاطمة عليها السلام البتول، لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسناً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى. قال الطريحي في مجمع البحرين: ٥/ ٣١٧:...وقد سئل -صلّى الله عليه وآله-: يا رسول الله، تقول: إنّ مريم بتول، وإنّ فاطمة بتول، ما البتول؟ فقال: البتول الّتي لم ترَ حمرة قطّ.

(٤) إقبال الأعمال: ٦٢٣-٦٢٦، فاطمة الزّهراء بهجة قلب المصطفى: ٥٩١.

(٥)تهذيب الأحكام: ٦ / ٩، وأورده الشيخ المفيد في المزار: ١٥٥.

(٦) تهذيب الأحكام: ٦/ ١٠، وأورده الكفعمي في البلد الأمين: ٢٧٨.

(٧) للشيخ هاشم بن محمّد، وقيل إنّه للشيخ الطوسي وهذا بعيد. أنظر الذريعة لآغا

بزرگ الطهراني: ٢١ / ١٠٣.

(٨) مصباح الأنوار: ٢٦٤.

(٩) الغشم: الظلم.

(١٠) الكمد: الحزن الشديد ومرض القلب.

(١١) بحار الأنوار: ١٠٠/ ١٩٧.

(١٢) أي أدخل عليك المشقّة.

(١٣) مصباح الزائر: ٢٥.

(١٤) المزار: ١٥٦.

(١٥) البلد الأمين: ٢٧٨.

القصيدة

الشيخ مغامس الحلي -رحمة الله عليه-

توهّجت الحوزة العلمية في النجف الأشرف في دور تأسيسها الثّالث على يد المقدّس الأردبيلي-رحمة الله عليه- المتوفّى سنة ٩٩٣هـ، بعد أفول المدرسة الحلّيّة التي أسّسها المحقّق الحلّي. واستمرّت حتّى وفاة فخر المحقّقين ابن العلّامة الحلي سنة ٧٧١ هـ وطبيعي لم تتوقف المدرسة الحلّيّة عن الإبداع بل استمرّت عطاءاتها الفقهية لتضيف إلى نشاطاتها العلمية إبداعاً أدبياً رائعاً امتلك الحسَّ الفقهي وأضاف إلى مهمّته العلمية مهمّة أدبية تتصدّى للدفاع عن المذهب ومبادئه الحقّة، فبرز فقهاء شعراء وظّفوا طاقاتهم الأدبية، وملكاتهم العلمية لإثبات المبادئ الحقّة، والمحافظة على مسلّمات المذهب وضروراته.

إنَّ أهم من مثّل هذه المدرسة الأدبية شاعرنا الفقيه الشّيخ مغامس الحلي البحراني، كما عبّر عنه الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ محمد علي الطريحي ـ أخو فخر الدين الطريحي صاحب المنتخب ـ فلقّبه بالبحراني، إشارة إلى نزوحه من البحرين إلى الحلة؛ لينتهل من مناهلها العلمية، وليكون أحد علمائها المبرّزين، وقد عبّر عنه العلامة الأميني في غديره بأنَّه: خطيب، أديب، وابن خطيب أديب.

إنَّ ما يميّز شاعرنا هو التزامه بنهج "أدبي وعظي"، ووصفه العلّامة الشيخ محمد علي اليعقوبي بالورع قائلاً: " لم يتعرَّض في أوائل قصائده للغزل أو التَّشبيب أو الطلول.... كعادة غيره، مما يدل على أنَّ الرَّجل كان يتورّع عن ذكر ذلك كلِّه، وإنَّما يستهل قصائده بذكر الشَّيب، ونعي الشَّباب، والوعظ، والتَّحذير من الدُّنيا ومكرها، وتصرّف الليالي وغدرها ثمَّ يتخلّص إلى الرِّثاء(١).

توفي أواخر سنة ٩٠٠هـ، وترك قصائد في الوعظ والإرشاد ليتخلص إلى رثاء العترة الطَّاهرة والتي أبرزها مظلومية السَّيدة الزَّهراء-صلوات الله عليها- التي جعلها عنواناً لمظلومية الآل الطيبين-عليهم السلام-.

قال في قصيدته:

كيف السُّلو، والخطوب تنوبُ ... ومصائب الدنيا عليك تصوبُ
إنَّ البقاء على اختلاف طبايع ... ورجاي أن ينجو الفتى لعجيبُ
والدَّهر أطوار، وليس لأهله ... أن فكروا في جالتيه نصيب
ليس اللبيب من استقر بعيشه ... إنَّ المفكر في الأمور لبيبُ
يا غافلاً والموت ليس بغافل ... عش ما تشاء فإنَّك المطلوبُ
أبرزت لهوك إذ زمانك مقبلٌ ... زاه وإذ غصن الشباب رطيبُ
عمل الفتى من علمه مكتوبة ... حتى الممات وعمره مكتوبُ
فتراه يكدح في المعاش ورزقهُ ... في الخلق أحداث لها وخطوبُ
من سُر فيها ساءه من صرفها ... ريب له طول الزَّمان قريبُ
عصفت بخير الخلق آل محمد ... صر شآمية لها وصبوبُ
أمَّا النبي فخانه من قومه ... في أقربيه محاكم وصحيبُ
من بعد ما ردوا عليه وصاله ... حتى كأنَّ مقاله مكذوبُ
ونسوا رعاية أحمد في حيدر ... في "خم" وهو وزيره المصحوبُ
فأقام فيهم برهةً حتَّى قضى ... في الفرض وهو بغضبهم مغضوبُ
والطهر فاطمة زوى ميراثها ... شرُّ الانام ودمعها مسكوبُ
من بعد ما رمت الجنين بضربةٍ ... فقضت وحقها مغصوبُ
وسليلها الهادي سقته جعيدة ... سماًّ له سبط الفؤاد لهيبُ
وجرى من الجفن الغريق بمائه ... دمع على قتل الحسين صبيبُ
بأبي الإمام المستظام بكربلا. ... يدعو وليس لما يقول مجيبُ
بأبي الوحيد ومآله من راحم ... يشكو الظما والماء منه قريبُ
بأبي الحبيب إلى النبي محمد ... ومحمد عند الإله حبيبُ
يا كربلا أفيك يقتل جهرةً ... سبط المطهر أن ذا لعجيبُ(٢)

١-ينظر البابليات/ الشيخ محمد علي اليعقوبي/ ١/ ١٣٢.
٢-المنتخب الطريحي/ الشيخ فخر الدين الطريحي/ ٢٩٢

فاطمة

یا فاطمه
انا اعطیناک الکوثر فصل لربک

سلام الله علیها
فاطمة الزهراء

فاطمة الزهراء

www.roze.ir